روايات

ALHAN

الحان

وردة الصحراء

١٠١

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

WWW.7AKAWATI.COM حكاوتي سورية

سألها :

- هل أنت بخير ؟

-ساعيش ٠

- ليس هذا ما سألتك عنه ٠

- لقد علمتني ألا أبكي على حالي ، لماذا إذن ٠٠٠؟

- أنت ٠٠٠ هل انت في حاجة إلي؟

انتابتها رعشة واقشعر جلدها ، لقد فهمت جيداً أنه يطلب منها إذا أرادت أن تعطيه يدها ٠ ولكنها فكرت في شيئ آخر تماماً ، في أشياء بسيطة وممتعة ، مثل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه ٠

شخصيات الرواية

- "إيما هاملتون" : شابة أمريكية جميلة تبلغ من العمر ستة وعشرين عاما ، تعمل لحساب منظمة إنسانية لصالح الأطفال اللاجئين الذين شردتهم الحروب .

- "ديفيد ونسلو" : ملاح بحري أمريكي ، شاب مغامر وسيم يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما .

- "هيجات" : السفير الكندي الذي يساعد "إيما" و"ديفيد" على النجاة.

الغلاف الأمامي

تدور أحداث هذه الرواية في سجن وسط الصحراء ، حيث يكون بطلا الرواية "إيما" و"ديفيد" معتقلين من قبل البوليس السياسي . يتم التعارف بينهما في السجن وتنشأ بينهما علاقة حب شديدة .

كيف حدث ذلك وكل منهما محبوس في غرفة منفصلة ؟

ترى كيف ستنتهي علاقتهما ؟

WWW.7AKAWATI.COM
مـــرمـــوريـــة

الفصل الأول

كان "ديفيد ونسلو" يحلم حلما صور فيه كل احلامه الرومانسية، جلوسه بجانب امراة جميلة وهو يلتهم البفتيك ويشرب العصير، تلك الأشياء التي لم يستطع ان يمتلكها اثناء كل هذه الأيام الطويلة التي قضاها في عزلة ، في خوف ، في جوع ووحدة .

انقلب على اللوح الخشبي الذي كان يستخدمه سريرا وتافف ، لقد كان جوعان . يا إلهي إنه جوعان ! استند على كوعه ونظر حوله وعقله مازال يقلب آخر صور حلمه الذي راه توا في هذا الواقع الملعون والذي كان يفضل الا يراه .

وفجاة انطلقت بضع رصاصات من مسدس رشاش على بعد خطوتين من حجرته الضيقة .

ارتجف وجلس في زاوية السرير - كان يسميه على سبيل السخرية - "سرير العرش" .

عقد يديه على وجهه وكانه يحاول أن يحمي نفسه .

كان تنفسه ثقيلاً ومؤلما . واسبل عينيه نصف المغلقتين على كل زاوية بالحجرة . استجمع قواه وحاول أن يسيطر على نفسه. وشيئا فشيئا انتظم تنفسه لكن العرق بلل جبهته وكانت يداه ترتعشان .

في النهاية ، لما كان مقتنعا بانه الشاغل الوحيد للغرفة ، فقد هدأ قليلا ونهض واقفا ليبدأ تمريناته التي تعود عليها : المشي مدة ساعة بين اربعة جدران ، خمس خطوات للأمام ، نصف دورة، خمس خطوات للخلف . لا يترك جسده يتلف . قال لنفسه: لا تصبح مجنونا .

القى نظرة اثناء سيره على نوع من تقويم الوقت والذي كان قد صنعه. بعمل كشط في الحائط ، ومد يده في جيبه ليصل إلى الطرف المعدني الصغير الذي كان قد انتزعه من سوستة قميص الملاح الجوي الخاص به . اغلق قبضته ليؤخر اللحظة التي كان سينقش فيها العلامة السابعة والخمسين .

بعد مرتي ذهاب وعودة توقف . سبعة وخمسون يوما ، سبعة

وخمسون يوما !

جلس على سريره واضعا رأسه بين يديه .

لقد كان يشعر بالخجل من نفسه ، لعدم تحمله هذا الموقف من التارجح بين رقة القلب والغضب الشديد . شاعرا بالخجل من كونه وحيدا هكذا ومن أحلامه بالصحبة والغذاء اللائق وبحمام ساخن وملابس نظيفة .

تمتم بصلاة قديمة والتي كان يعتقد انه نسيها رغم ذلك اغلق عينيه ، خفض رأسه وأدار عنقه .

ربما أصابته الرصاصة غدا أو بعد غد ، لماذا يعامل "ديفيد ونسلو" المغامر ذو الخمسة والثلاثين ربيعا والمواطن الامريكي وضابط البحرية كفار ... إنه ينتظر شيئا لا يعرفه ... إشارة ... معجزة أو خمس رصاصات في جسده .

سمع ضوضاء خفيفة مكتومة صادرة من باب الزنزانة ، قفز واقفا واحتمى بالركن الأكثر ظلمة في الحجرة . حنى ظهره ، اغلق قبضتيه وتوترت عضلاته .

كانت هذه ضجة غير واضحة أولا ، ثم اتضح انه يعرفها جيدا : خطوات ، صوت ضربات السيف على أرضية اسمنتية .

قطب حاجبيه ولم يستطع أن يتوقف عن الارتعاش عند تذكره

الرحلات البحرية ذات المعارك التي خاضها في الأسابيع الأولى من حياته الوظيفية .

مرر يده في شعره اللزج من القذارة والعرق .

سمع صريرا معدنيا . شخص جذب حاجزا من الصلب. شخص أقسم بالعربية. وازدرد "ديفيد" لعابه .

لقد سمع شخصا ما، وسقط شيء ما على بعد مترين منه على أرض الحجرة المجاورة له . بعد ذلك كان شخص يعيد وضع الحاجز المعدني. والضوضاء الصادرة من خبطات السيف تتباعد.

تقدم "ديفيد" بحرص ، وشيء ما يشبه النحيب قطع حاجز الصمت .

توقف "ديفيد" وكان يريد أن يترك الوقت لهذا الشقي ليصحح أخطاءه. استند على الحائط وأغلق عينيه .

- هذا ليس معقولا !

انتفض "ديفيد" .

كرر الصوت :

- هذا ليس معقولا .

هذا الصوت كان بلا شك صوت امرأة .

امرأة ؟ امرأة كانت تتحدث الإنجليزية .

حرك رأسه . لقد أصبح هابلا .

الأحلام التي يحلمها كل ليلة بدات في سلب البقية المتبقية من عقله .

حاول أن يتكلم ، ولكن ، في كل مرة كان يفتح فمه ، ولا تخرج منه كلمة.

جلس على السرير وفكر في تلك التي كانت على بعد خطوتين منه ، على الجانب الآخر من الجدار .

إما أن يكون قد اصبح مجنونا كليا ، أو ...

وفي النهاية سال بصوت اجش :

- الأمور ... هل كل الأمور على ما يرام ؟

WWW.RAKMYA.COM
مـــرمـــوريـــة

الفصل الثاني

- هل كل الأمور على ما يرام ؟

السؤال الذي بدا وكانه مجهول المصدر ادهش "إيما" في اللحظة التي نهضت فيها ، وتاوهت :

- يا إلهي !

كرر الصوت :

- هل تسمعينني ؟ قولي لي ارجوك ، هل كل شيء على ما يرام؟

لقد كانت عصبية ومضطربة وتمتمت :

- من ... من هناك ؟

- "ديفيد ونسلو" نقيب فيلق البحرية .

- أتسخر من نفسك ؟!

- لقد اردت أن ...

- لكن أنا ... انا لا افهم .

- أنصتي يا آنستي ... هدئي من روعك ... تنفسي بعض الهواء وأخبريني عن اسمك .

- "إيما" ، "إيما هاملتون" .

- وهل انت بخير يا آنسة "هاملتون" ؟ هل سبب لك احد اي الم؟

لم تحاول المرأة أن تزيف الحقيقة .

- انا اشعر أن كلي مهانة ، كنت اموت من الخوف ، وكنت اقتل من أجل حمام وبعض الملابس النظيفة ... ومن اجل الخروج من هذا الكابوس.

مرت بيدها على جبهتها وقالت :

- إنه حقا كابوس ، أليس كذلك ؟ أو أكثر من ذلك هل انا حقا في ... في السجن ؟

- أخشى ذلك .

ساد الصمت بينهما طويلا .

سألها :

- من أين أنت ؟

- "سان دييجو" .

- شابة جميلة من "كاليفورنيا" ؟

- انا حزينة لأني نسيت لباس البحر في المنزل .

- يالها من لحية !!

قالتها ولم تستطع ان تمنع نفسها من الضحك. ثم قالت:

- وانت ؟ من اين اتيت ؟

- من "بيلينجس" من "مونتانا" . ولدت وتربيت وتعلمت في هذا البلد.

قالت في لهجة تملؤها الدهشة :

- راعي بقر ؟

- لا يا آنستي ، ملاح بحري .

لقد لاحظت نبرة العظمة التي وضعها في تصريحه هذا . لكن سرعان ما استرجعت قلقها .

سألته :

- هذا ليس فخا ، أليس كذلك ؟ هل وضعك البوليس السري هنا لتراقبيني؟

- لقد فكرت في نفس الشيء بالنسبة لك .

- حسنا .. ولكن .. ماذا تفعل هنا ؟

WWW.RAWEM.COM
مـــرمـــوريـــت

- أعد الأيام ... إنه شيء يشغلني دائما .

قالت ملاحظة :

- الأمريكيون بخاصة غير مرحب بهم في هذه المنطقة بالتاكيد على الأقل لاننا امددناهم بالغذاء والادوية .

- إن هذا حقا اقرب إلى الصواب .

سالته فجاة :

- هل تعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية ؟

انفجر في ضحك مستمر ، ضحك حتى إنه اعتقد انه لم يضحك هكذا من قبل ابدا .

- شيء ما يشعرني بانك لست مخبر بوليس ! انت خبيثة حقا .

لم تعبأ "إيما" بهذا التعليق الذي يذكرها إلى حدما بالكلام الجارح الذي وجهه لها اخوها "سام" الدبلوماسي وقلة ذوقه دائما معها .

- مفهوم ، انت غير مسموح لك بالإفصاح عن مهمتك .

قلب الموضوع إلى مزاح قائلا :

- لا تدخلي رحلة جوية للتعرف الشخصي في مجال الأسرار العسكرية .

- انت إذن طيار .

- برافو ! عشرة على عشرة يا انسة "سان دييجو" . لقد كنت المسؤول

عن إشعال الصواريخ . اتعلمين؟ ذلك الطراز الموجود خلف الطيار الرئيسي .

كانت توشك ان تعلق على حديثه عندما انفتح الباب الموجود في نهاية الممر بعنف واصطدم بالحائط .

اضطراب يحدث جلبة وضوضاء ، واصوات خبطات تصطدم بالبلاط .

ارتعدت قائلة :

- "ديفيد" .

- ابقي هادئة . اهدئي . اسمعيني ... هدئي من روعك . إنه الشيء الوحيد الذي يجب عمله مع هذه الأصناف .

وبدات وهي تفكر في الاستجواب الذي خضعت له من قبل :

- انا لا أعرف إذا كنت ساستطيع ...

اكتفى "ديفيد" بالقسم واشار عليها بان تصمت .

توقف الحراس امام باب الحجرة الصغيرة ، واعتقدت "إيما" ان قلبها قد توقف عن النبض. امسكت بمقبض حقيبتها كما لو كانت ستقوم بمحاولة دفاع ممكنة، وبدات تصلي .

وابتعدت ضوضاء الخطوات نحو غرفة اخرى . ثم صفق باب الممر .

- "إيما" .

www.rewity.com

- ماذا ؟

وبصوتها المرتجف قالت لنفسها :

لا تفكري ، لا تفكري ، حبيسة ، سجينة في بلد من بلاد الشرق الادنى ومنفية من الأوطان ، لا يجب أن تفكر فيما سيحدث لها .

شرح لها الوضع :

- الحراس يفتشون كل الغرف باستمرار وفي النهاية هذا ليس إلا روتينا بالنسبة لي .

قالت بصوت خافت :

- اعتقد انه يجب عليّ ان اثق بك .

قال بعد لحظة تردد :

- اعتقد ، اعتقد انه يجب علينا - في الواقع - أن نتبادل الثقة طالما نحن حبيسان هنا .

كانت كل اعضاء "إيما" ترتعد .

أمرها باستياء :

- حدثيني . هذا سوف يساعدك في التغلب على اضطرابك هذا، عندما تنتابك الرعشة حاولي أن تنهضي وتمشي مائة خطوة . إن ما يحدث لك شيء طبيعي ولا تقنعي نفسك بانك على وشك الانهيار . لان هذا ليس صحيحا ، لقد مررت بنفس هذه الحالة في الأيام الاولى .

تنهدت وشدت بيديها على مقبض حقيبتها مثل الغريق الذي تعلق بعوامة الإنقاذ .

همهمت قائلة :

- كنت افضل أن تتكلم انت إذا لم تجد ما يمنعك من الكلام، فانا اشعر بضعف شديد الآن .

- حسنا ، اول شيء يجب أن تعرفي القوانين المعمول بها في هذا الفندق . مسالة البقاء ، إن مضيفينا لا يقدرون اننا نراهم تماما .

- إني اسمعك .

- لا تقيمي اي حوار مع اي شخص، ولا تكوني أول من يبدأ المحادثة، إلا إذا قررت الاعتراف بالجرائم المزعومة التي يتهمونك بها . حولي نظرك ، إلا إذا صدرت اوامر مغايرة . حاولي أن تثبتي نظرك على نقطة على كتف الشخص الذي يحقق معك أو على جزء ما على الحائط عندما يحدثونك او يطلبون منك الرد على أسئلتهم.

المساجين والنساء يعتبرونهم كائنات من الدرجة الثانية في هذه البلاد .

- مدهش .

- هل استجوبك أحد من قبل ؟

اومات برأسها إيجابا .

WWW.KAWKA.COM
مـــر مـــوريـــة

- "إيما" .

- معذرة .. أنا .. نعم في الحقيقة لقد حققوا معي وكان هذا بالأمس وبعد ذلك طوال الليل . بدءوا يلقون إليّ باسئلتهم وهي دائما نفس الأسئلة ويكررونها عشرات بل مئات المرات حتى هذا الصباح قبل أن يقودوني إلى هنا ...

بدأ صوتها ينكسر .

- أنا لا أفهم لماذا يعاملونني كجاسوسة ، أنا لم أؤذ أحدا .

- ألست متعبة ؟

قالت وهي دامعة العينين :

- بلى .

- وأنت ألم تتخيلي أبدا أن تكوني خائفة بهذا الشكل ؟

- بلى .

- هذا نفس الشيء بالنسبة لي .

قالت ملاحظة :

- وأنت تعرف كيف تخفي خوفك جيدا . أنت تبدو هادئا وواثقا بنفسك .

- أعتقد أني قد تعودت على ذلك بعض الشيء .

قال لها برقة :

- "إيما" إن الخوف والتعب يعملان على تقوية نفسيهما والسر هو أن نستخدم نظامهما ليعمل ضدهما ، لا نعارضهما معا في وقت واحد، ونحاول هدم منهجهما .

لقد أجهدت نفسها لتسمعه ولتتأثر بحديثه وبارائه، فلم يكن لديها خيار آخر .

- كيف عرفت كل هذا ؟

- من مدرسة الحياة ، والأغرب من ذلك هو أني كنت المكلف بتعليم الطيارين الصغار في هذه المادة ، طريقة جيدة للحكم على جودة تعليمي . أليس كذلك ؟

سكت ، وتساءلت هي عن سبب اختياره لكلماته بعناية شديدة هكذا ، ربما كان ذلك عملا لا إراديا ، وتساءلت أيضا عن شعوره. لم تستطع أن تراه، ولكنها تخيلت في صوته صوت شخص ضخم عريض المنكبين ، شخص مطمئن .

قال لها فجاة :

- اسمعي ، أنا سوف أعلمك كل ما أعرفه ، لكني أشك إن كنت بحاجة إلى دروسي هذه ، أغلب الأفظاظ الذين قابلتهم هنا تنقصهم الخبرة . ربما يحتجزونك هنا بضعة أيام ، حاولي أن تتأقلمي وبعد ذلك الجئي إلى سفارة تابعة للولايات المتحدة .

WWW.AKAYNA.COM

- وانت ؟

أجابها :

- لا يهم ، لا تقلقي من أجلي .

- لكني أعرف أنك موجود الآن . إنهم لم يجمعونا بالمصادفة ربما كانت لديهم النية لاستغلالنا ، انا لا اعرف اي خبطة صحفية مروعة هذه .

- لا تتوقعي الأمر الأسوأ ، واعدي نفسك للتغلب عليه ، هذا كل شيء.

- هل هذا ما علمته لتلاميذك ؟

- إنه حس مشترك بسيط يا عزيزتي.

عند نطقه هاتين الكلمتين . انفجر ضاحكا . عزيزتي ! في السجن وفي وسط الصحراء .

- لقد قيل لي: إن هذه الصفة قد انعدمت لدي .

- حقا؟

- نعم "سام" كان دائما يقول لي: إنه ليس هناك أمل وهذا ما جعلني اشك أن يكون هذا رأيه في النساء جميعا .

- "سام" ؟

- مصيبة حياتي .

- فضولي !

- هل هذا رأيك؟

- نعم انا لا أحب هذا النوع من الرجال .

- انت لا تعرفني بالقدر الكافي لكي تطلق عليّ مثل هذا الحكم، "سام" مثل" ...

قال مقاطعا إياها :

- معك حق ، انا لا اعرفك على الإطلاق .

- ... مثل كل الإخوة الكبار .

- معذرة ، يجب أن تهدئي ، اسمعي ! اهدئي لكن لا تهملي في نفسك لان هذا سيكون أسوأ من كل شيء . اعملي التمرين ، امشي، اسردي القصائد او قائمة المعجبين القدامى بك ... كل ما تريدينه لكن لا تهملي شؤونك .

تمتمت قائلة :

- انا جائعة .

- في هذه الحالة ، الوقاية خير من العلاج ، ها هي قائمة الطعام ! خضراوات مسلوقة في قدح ماء فاتر ، قطعة كبيرة من الخبز . لقد قدموا لي الأرز مرتين أو ثلاثا. لا تعدي ، مواعيد الوجبات ليست مضبوطة بالمرة. لكن عموما نحن ناكل مرة واحدة يوميا واحيانا مرتين ، نظام غذائي ممتاز للمرأة الرشيقة .

WWW.7AKAWATI.COM
مـــرمـــوزة

لقد أدركت فجأة انها أحبت هذا الرجل الغريب . لقد قدرت طريقته في قول الأشياء دون أن يحاول أن يقلل من خطورتها، بدون أن يضخم الأشياء ثم إنه لا تنقصه بعض الفكاهة .

- هل أنت محبوس هنا منذ وقت طويل ؟

- طويل جدا .

- كم ؟

- سبعة وخمسون يوما .

مذعورة من هذه الإجابة ومن التحمل الذي أظهره هذا الضابط الشاب؛ تنهدت ضيقا .

تقريبا مدة شهرين ، تقريبا مدة شهرين وهو لا يزال متماسكا، مظهرا المقدرة على محاربة المصير المجهول المتمثل فيها .

- هل سمحوا لك بالتحدث مع عضو في سفارة صديقة ؟

لم تتلق إجابة منه .

- "ديفيد" ؟

قال متذمرا :

- كلا .. كلا لم يسمحوا لي بالحديث مع أي شخص ، أنت أول شخص أتحدث إليه .

قال بصوت منكسر :

- أنت أول شخص أتحدث إليه منذ اعتقالي .

- شكرا .

- وفيم الشكر ؟

قالت مبتسمة :

- لكونك صبوراً هكذا معي ، كنت تستطيع أن تتجاهلني وتتركني في متاعبي وحيدة . من كان باستطاعته أن يلومك على ذلك ؟

- إن هذا ليس طرازي يا "إيما" .

- أشك في ذلك .

لقد فهمت مغزى حديثه من خلال صوته ، قبل أن يبدأ نزهته المشؤومة ثلاث خطوات للأمام ، ثلاث خطوات للخلف . "إيما لفت جسدها بالشال لتحتمي من برد الشتاء .

- "إيما" ؟

- نعم .

- أنا ... من الصعب أن أسألك هذا السؤال ، لكن ... هل تعرض لك أي واحد منهم ؟

- كلا لم أكن لأصدق أنهم يفعلون ذلك، إنهم مكتفون بإرهابي وتقييدي على الكرسي أثناء استجوابي .

- هذا أفضل بكثير .

WWW.RAWNA.COM
مـــرمـــوريـــة

- وأنت ؟ هل سببوا لك اي أذى ؟

- هذا ليس بالأمر المهم .

قالت متعجبة :

- أهو كذلك بالتاكيد. اخبرني بالحقيقة يا "ديڤيد" هل عاملوك معاملة سيئة ؟ انا أعرف أن هذه الأشياء تحدث ، انا افهم الحديث عن التعذيب لا تحاول ان تكذب عليّ لترفع من روحي المعنوية ، انت بهذا تفعل العكس .

- لقد ضربوني في البداية . لا الم لكن الجروح قد اندملت سريعا .

كررت :

- ماذا فعلوا بك ؟

- في بادئ الأمر كانوا يستخدمونني في التدريب على الملاكمة، الأشياء المعتادة .

كان يتحدث باشمئزاز وبصوت منخفض .

- لقد ضربت وصفعت بالاقلام وركلت بالأرجل لا شيء غير عادي .

قالت متعجبة :

- الأشياء العادية . ربما بالنسبة للسوقة البؤساء ، هل راك الطبيب ؟

قال بدهشة :

- "إيما" ، أريحي نفسك . إنك لن تغيري ما قد حدث ، لقد اتى الطبيب

بالفعل ورد كتفي إلى مكانها الطبيعي، وشخص غسل جروحي وضمدها ، لقد كسر انفي ونزف كثيرا وفي النهاية قليلا. سالته بنفس اللهجة الحازمة :

- والآن ؟

قالت هذا باللهجة التي كانت تستخدمها لتحدي الموظف المتسلط الذي كان يعارض عملها لصالح اللاجئين .

- تعكر قليل في مزاجي على ما أعتقد .

كان لديها شعور بانه قد عانى كثيرا، اكثر مما يريد ان يقربه .

اكدت بحماس، ادهشها هي نفسها :

- يجب ان يكون هذا قد ترك علامة على وجهك .

- او بالاكثر أفزع كل المحيطين .

قالت ضاحكة :

- يروق لي موقفك يا "ديڤيد" .

لقد تبينت سريعا ان الشفقة على النفس غير مجدية تماما في هذا الموقف العصيب .

- ذكرني بذلك عندما ابدأ في التصرف كالاطفال .

ارتعدت قائلة :

- كوني قوية، يا إلهي ، كوني قوية .

WWW.KAWMA.COM
مـــرمـــوريـــة

القى ملاحظة :

- ليس لدي انطباع بانك طفلة .

ردت وهي تعقد ذراعيها على صدرها !

- اتمنى ذلك .. اتمنى ذلك بكل امانة .

- انا لم اكن اريد أن اخدعك ...

الفصل الثالث

لم يستطع "ديفيد ونسلو" أن ينام برغم أن الوقت كان متاخرا . فقد سمع صوت رصاصات متفرقة صادرة من بنادق رشاشة ، وانفجارات القنابل التي كسرت حاجز الصمت . لم يعد هذا يثير شعوره منذ وقت طويل .

حدث له ايضا، انه كان يقلق من رد فعله غير المبالي ، كما لو كان ذلك شكلا ماكرا من أشكال الخضوع استولى على تفكيره .

لقد كان يشك أن المناوشات بين الجيوش الموالية وعصابات المتمردين الذين كانوا يسيطرون على قطاعات كبيرة من العاصمة سوف تستمر

WWW.AKWYNA.COM
مـــرمـــوريـــة

حتى سقوط النظام الديكتاتورية .

لم يكن لديه امل في أن يطلق سراحه على الاقل قبل أن يكون هذا الحدث المفترض هدفا لإحدى هذه المقايضات التي تمثل سحرا للسياسة في هذه المنطقة .

زفر بصعوبة وأغلق قبضته . لقد درس كل حلول الهرب ولا حل منها ينقذ حياته. الدبلوماسية كانت امله الوحيد .

وقف وتمدد، ثم استغرق لحظات في التفكير في اسرته. على الرغم من انه يعرف مدى قلق والدته واخته عندما تعرفان انه ينتمي الآن إلى هذه الفئة الفظيعة التي تضم المختفين بفعل فاعل. غير الموضوع الذي كان يفكر فيه، وبدأ يفكر في "إيما هاملتون" إنه لا يعرف سبب اعتقالها لكنه افترض انها اعترفت بخطأ واحد هو وجودها في المكان الخطأ وفي اللحظة الخطأ . لم يكن يريد أن يعاملوها بعنف أو يتعبوها عند استجوابها . سيكون لديهم الوقت كله .

قال لنفسه :

- إيما .

هذا اسم غير شائع . كان يعرف مع ذلك لماذا ؟ كيف ؟ إنها تمتلك صفات نادرة . لقد سمع صوتها، تارة كان رقيقا وتارة اخرى كان مرتاعا.

لقد شعر بنوع من الدفء ... بنوع من العفوية والحزم الشديد الذي يشع منها .

تمتم :

- "إيما" .

مستمتعا بالموسيقى الصادرة من الاسم : "إيما" . ابتسم لنفسه متذكرا الحمية التي أصابته عندما كان يبكي من الألم الذي استطاع أن يسببه له جلادوه .لم يستطع أن ينكر انه قد أعجب بها، وأن لقاءهما هو أحلى ما في الأحداث غير العادية المضنية، وهذا اللقاء يمكن أن يؤدي إلى أمر جاد عندما يتحرران - إذا أراد الله ذلك - ماذا سيكون مشتركا بينهما ؟ ذكرى القذارة والخوف، ذكريات ضعفهما المشترك أو الأفضل أنهما سيتقابلان ليشربا الشاي في حضور هذا الـ"سام" .

بعد ذلك يترك كل منهما الآخر على أن يتبادلا وعود الوداع، وهي أن يظل كل منهما على اتصال بالآخر . تذمر وشعر بالرغبة تشعل قلبه، تحرق عروقه، وتعذب حواسه، وكل هذا من أجل امرأة لم يرها!

من أجل صوت، وماذا يقول هذا الصوت؟ ماذا يوضح؟ إن المرأة الشابة تبلغ ما بين ٢٥ إلى ٣٠ سنة وانها من وسط راق وكل ما تبقى: البشرة الناعمة، المانيكير وشعرها الطويل الأسود !

لم يكن إلا نتاج خياله المريض .

www.rakmy.com

كرر .

- مريض .

فكر : نعم لقد كان مريضا ، مهدوما كليا باي شيء؟ من عناء الأسر مدة شهرين .

نقيب الملاحين ، الوسيم . ياله من شخصية مسكينة .

كان يجلس على حافة السرير عندما سمع صرخة وبعد لحظة صرخت "إيما" وهي نائمة . هل تكون قد كذبت عليه ؟ تكون قد عذبت ؟ او اعتدوا عليها ؟

همهمت "إيما" :

- ساعدوني .

تعلق "ديفيد" بالقضبان الحديدية للزنزانة وأخذ شهيقا طويلا .

- "إيما" اسمعيني انا لا استطيع مساعدتك .انت الوحيدة القادرة على مساعدة نفسك .استيقظي ، اطردي هذا الكابوس ، افعلي ذلك الآن.

استمرت في الهمهمة بنهايات بعض الجمل .

- هيا يا عزيزتي اخرجي من هذا الكابوس ... قاومي يا "إيما"! افعلي ذلك من أجلي من فضلك لا تتهاوني في حق نفسك ارجوك.

في النهاية قالت بهمهمة :

كل شيء على ما يرام .

- حدثيني ... حدثيني يا عزيزتي، فإن هذا سوف يساعدك .

- لا ارغب في الحديث .

استنشقت نفسا وكتمت نحيبها .

سالته :

- هل ايقظتك ؟

- انا لم اكن نائما، اعتقد اني قد اصبت بالأرق في هذا المكان.

- هل هو دائما مظلم هكذا ؟

تذكر "ديفيد" القلق الذي شعربه من معيشتها في هذه العتمة المستمرة. مسكينة "إيما" .

- نعم وانا اخاف الظلام .

- لقد حلمت بكابوس .

- يقولون ذلك .

- إنني حزينة .

- هذا لا شيء ، هذا يحدث وهنا اكثر من اي مكان آخر. ايامي الأولى هنا لم تكن ابدا اكثر إشراقا .

تنهدت قائلة :

- انت دائما صبور هكذا ومتفهم .

قال بصوت قاس :

www.alkottob.com

- إيه ... وهل لدي خيار آخر ؟

- "سام" يستحسنك .

- اعتقد أن هذه ليست مجاملة .

- إني افتقد "سام" ، أتعرف ذلك ؟

- أعرف جيدا هو يفتقدك ، وانت تفتقدينه ماذا بعد ؟ ركزي على شيء واحد : الخروج من هذا المطب. إنك في النهاية ستعودين للمنزل لتكوني بالقرب منه .

- في المنزل ، بالقرب منه؟ إنه يعيش في "باريس" وانا في "سان دييجو" وفضلا عن ذلك . إذا تحملت عناء الاعتراف لأخي باني اعتقلت في بلد غريب ، فساعاني طوال حياتي.

دهش وشعر بارتياح :

- هل "سام" أخوك ؟ اسمعي ... تنفسي . تنفسي بعمق. اترغبين في ذلك ؟ لقد انتابك كابوس، ولكن الآن كل شيء على ما يرام .

- "ديفيد" .

- نعم انا هنا . هل لديك بعض الماء الذي أحضره الحارس مع وجبتك؟

انتظر إجابتها وبعد دقيقة من الصمت شعر "ديفيد" أن صبره قد نفد.

- ردي عليّ .

- نعم ، لقد اتبعت نصائحك واحتفظت به .

- حسنا : اشربي منه حتى تشبعي وبعد ذلك تجولي في الحجرة، التمرين هو مفتاح نجاتك . إن دماغك سوف يرتخي إذا انهكت نفسك .

- انا لست سانجة تماما ولا مراهقة !انا عمري ست وعشرون سنة ، ولدي منزل خاص ، وادلي بصوتي في الانتخابات، بمعنى انني استطيع أن افعل كل ما تقوم به اي امراة ناضجة . لا مزيد من الأسئلة يا ديفيد "ونسلو" ؟

- لا مزيد من الأسئلة يا جميلتي . لكن لا تتوقفي عن السير . أريد أن أسمع خطواتك .

- إنك تذكرني بالراهبة العجوز التي ...

قاطعها قائلا:

- تحدثي اثناء سيرك يا "إيما" واخبريني بما تشعرين به الآن .

- ... التي تسمى الراهبة "ماري انچيل" . إنها لم تكن المفضلة لدي .

- بماذا تشعرين ؟

- غاضبة ، غاضبة تماما .

- واضح أنك كذلك، وهذا شيء طبيعي . استغلي غضبك هذا إذن يا "إيما" . اجعلي منه شيئا يعمل لصالحك . وانت قادرة على ذلك يا صغيرتي .

www.rwayatna.com

- كف عن مناداتي بصغيرتي أرجوك وإلا ساكسر عنقك .

- سيكون ذلك من دواعي سروري .

- توقف عن السخرية مني !

حاول بلا جدوى أن يكتم موجة من الضحك المجنون .

نجح في أن يقول بوضوح بين مرتين من السعال :

- استمري يا "إيما" ! ابقي غاضبة واجعليني هدفا لك ... هذا ممتاز من أجل توازنك .

لم تجب "إيما" سمع شهيقا وزفيرا على بعد بضع خطوات منه، وغاب ضحكه ليحل محله حزن لا نهائي، وخفض رأسه .

تمتمت في النهاية :

- "ديفيد" ؟

- أنت لا تصدقين أن تحدث لك مغامرة . مثل هذه . أليس كذلك؟

صرخت:

- كيف ... كيف تعرف دائما ما أفكر فيه ؟

- أنا لن أنسى أبدا الأيام الأولى التي قضيتها هنا ... أبدا .

لقد تذكر الألم، الإهانة ، الضربات المتكررة حتى إن جسده لم يعد يشعر بها، تذكر الخوف من أن يصبح مجنونا .

لقد أخذ على نفسه عهدا أن يبعد صور هذا الكابوس .

- "إيما" ماذا كنت تفعلين في هذه البلاد التي عانت الحرب الأهلية والفساد ؟

- إني أعمل لحساب منظمة إنسانية، نحن نمد الأطفال الذين شردتهم الحرب بالغذاء والعناية الطبية . بعد وقف إطلاق النار الأخير .

استقرت هنا إحدى فرقنا لتقيم معسكرا للأطفال اللاجئين .

- هل استدرجك أحد لاختيار هذه المهنة ؟

- إن والدي طبيب أطفال . وكان واحدا من مؤسسي منظمة (تشايلد فيد) ووالدتي متورطة في ذلك أيضا، فهي تمتلك معرضا فنيا في "سان دييجو" وهي تحقق مبيعات هائلة كل عام لصالح نفس القضية . لقد عمل "سام" معنا فترة قبل أن ينضم لوزارة الخارجية . وأختي الصغرى ممرضة وتعطينا الكثير من وقتها ، يعني تقريبا عمل عائلي !

- في الواقع ...

- لكن هل تعرف ، أن هذا أيضا اختيار شخصي؟ إن والدينا لم يجبرانا أبدا على هذا الاختيار، بالعكس ، من جهة أخرى ، وفضلا على ذلك ، يوما ما لقد قمت بمهمة في "إثيوبيا" ورأيت الأطفال ، كان هذا منذ خمس سنوات ، ولن أنسى أبدا نظراتهم . يا إلهي ! ولهذا فقد قررت هذا الاختيار ولم أندم أبدا على ذلك .

- والآن هل هو نفس الموقف ؟

WWW.AKAWNA.COM

حاول أن يسعل ليخفي انتحابه .

- نفس الموقف الآن .

- هل تعلمين يا "إيما" . انا معجب بك جدا . إنك تتحلين بالشجاعة .

- انا لست متاكدة من ذلك ... لكني معجبة بك أيضا .

- شكرا يا آنسة ، على أي حال انا لا افهم لماذا يعتقلونك؟ من الواضح انك لا تمثلين خطرا على الحكومة .

- كان يجب عليّ أن أستقل الطائرة إلى المنزل . سائقي لم يكن موجودا وانتظرت . انتظرته قبل أن أكتشف انه سرق جواز سفري وتذاكر الطائرة وتقريبا كل نقودي .

- وماذا بعد ؟

- إن لدي صديقة في سفارة "كندا" ، لم تستطع أن تساعدني في الحصول على جواز سفر مؤقت ولكنها أعارتني بعض النقود.

شرطة البوليس السري استوقفتني على بعد مائة متر من السفارة . وهانا ذا ...

- قريبا سوف يفهمون خطاهم .

- انا لست متاكدة من أن أشاركك تفاؤلك يا "ديفيد" . إنهم يرفضون أن يسمعوني أو أن يتحققوا من أقوالي ...

دعنا نغير هذا الموضوع ... حدثني عن عائلتك، فانا سئمت من

الحديث عن نفسي .

لم يرد .

- ابذل ما في وسعك ... من أجل خاطري . احك لي عن الحياة في "مونتانا" .

- لقد تربيت في مزرعة كبيرة .

- هذا أمر غريب . ولكنه لا يدهشني .

قال مبتسما :

- انا اذهب إليها نادرا ، لكني أعرف انه في يوم ما سانتهي بالعودة إليها .

- بعد العمل بالملاحة ؟

- محتمل . انا امتلك جزءا من المزرعة، لكن الأولوية للملاحة الجوية . إنها كانت هوايتي دائما وأعتقد انها ستظل هكذا لوقت طويل .

- هل تسكن عائلتك هناك باستمرار ؟

- لقد توفي والدي منذ سنوات عديدة ، ووالدتي ظلت بالمزرعة حتى زواج أختي الصغرى، إن صهري هو الذي يهتم بها الآن . لقد عادت للمدينة لأنها عملية أكثر بالنسبة لها لانها متعلمة .اختي لديها ثلاث من الصبية الآن وهي تقضي أغلب إجازاتها الأسبوعية بالقرب منهم .

- لدي انطباع بانها امراة ذات شخصية مميزة .

- تماما . لقد كانت حليفتي المخلصة عندما اعلنت لوالدي اني لن اعود إلى مزرعة العائلة . لأن طموحاتي الكبيرة كانت بمكان آخر ... عالية حتى عنان السماء .

- الطيران يعني كل شيء بالنسبة لك . أليس كذلك ؟

- صراحة . انا لا أتخيل نفسي أقوم بأي عمل آخر في حياتي.

- أعتقد أن بإمكاني أن افهمك .

هذا يشبهني ... بخصوص عملي في منظمة "تشايلد فيد" لقد لاموني مرات على اختياري لهذا العمل ويقولون: إني مسلط عليّ وسواس . ربما كان هذا حقيقيا ؟

- هل أنت سعيدة باختيارك هذا يا "إيما" .

- جدا .

- إذن دعينا نقل : من يسر مستقيما في طريقه فلا يخطئ .

- نصيحة جيدة ... لقد قالها لي والدي حديثا، والنتيجة أني أجد نفسي هنا .

- أنت تعرف أن هذا مثير للسخرية . عندما تمارس حياة هادئة ومملة في مسقط رأسك أنت يمكن أن تجد نفسك مقلوبا بك الأوتوبيس أو تصيبك عضة من ثعبان كبير هارب من حديقة حيوان.

- شكرا ، شكرا. إن ما قلته لي حقيقة مريح جدا.

متعجبة، وبصوت نصف غاضب ونصف مبتسم : لقد تفاخرت بهذا بفضول. وبينما كان قد بدا يستريح جاء الرد الأخير لـ"إيما" الذي نزل عليه مثل دش ساخن . ارتعد وطبقة من الحزن هوت عليه وشعر بانه حائر وغير ذي فائدة .

قالت بكابة :

- أرغب بشدة في رؤيتك وأن أرى وجهك عندما أحدثك .

- يمكن أن نحاول ثقب هذا الحائط في جزء ما في المنتصف على الأقل سنقوم بالتمرين الرياضي الذي نحن في حاجة ماسة إليه .

- ولم لا ؟

- لأني من قبل حاولت يا عزيزتي أن أراك .

إنه مبنى قديم، ولكن به آثاراً جميلة وجدرانه سميكة .

توتر "ديفيد" . إن لديه وسيلة للاتصال بشخص آخر لم يفكر في ذلك من قبل لأنه كان الوحيد الذي يشغل هذه المجموعة من الزنزانات .

تقدم إلى ركن من الحجرة ، في مدخل الزنزانة .

- نحن لن نتمكن من أن يرى بعضنا البعض يا "إيما" لكن يمكننا أن نمسك بأيدي بعضنا البعض .

قال لها ذلك وهو يمرر إحدى ذراعيه من القضبان في اتجاه الزنزانة المجاورة .

WWW.KAWNA.COM

سالته مندهشة :

- ماذا قلت ؟

- لقد فهمت ذلك جيدا .

- انا ليست لدي موهبة السحر يا "ديفيد" .

- إنه ليس برجا - حقيقة - يصعب اجتيازه ، اسمعيني . تقدمي نحو الممر ، نحو القضبان . اتوافقين ؟ مرري ذراعك بين الحائط واول قضيب ، هل تتبعينني ؟

همهمت علامة الموافقة .

- دعيها تنزلق ... برفق ... برفق هذا غير مريح . احذري من ان يجرحك أو يخدشك. النتائج يمكن أن تكون ...

- حاسمة ونهائية ؟

- انا لم أقل هذا . ما طولك ؟

- متر واحد وسبعون سنتيمترا ، لماذا ؟

شعر "ديفيد" ان قلبه اضطرب تاثرا .

متعجبة :

- "ديفيد" !

- نعم ، يا صغيرتي ، هانا ذا .

انفجرت ضاحكة، وضحك هو ايضا، ولكن ما الذي اختنق في حلقه . لقد شعر بالدفء عندما امسك يدها الناعمة الرقيقة .

الفصل الرابع

لم تحاول "إيما" أن تقاوم دموعها التي تنسال الآن وعلى مدى أيامها.

سالها بعد صمت طويل :

- هل تشعرين بتحسن ؟

تمتمت :

- نعم .

همهم وهو يشد على يدها :

- لا تبكي يا "إيما" . إن هذا لن يفيد في شيء .أي شيء .

قالت وهي ترتعد :

www.7akawya.com
مـــرمـــوريـــة

- أعرف . اعرف، معذرة لكن ... انا، انا خائفة .

- انت لست وحدك ... انت لم تعودي كذلك . امسكي بيدي وقتما تريدين يا صغيرتي .

- الم انبهك لاستخدامك كلمة "صغيرتي" ؟

ضحك ، بينما هي تمسح دموعها بيدها الاخرى .

وحبست نفسها عندما شعرت انه بدأ في مداعبة انامله .

ارتعدت دهشة بآلاف الاحاسيس التي سببتها لها هذه الحركة البسيطة .

ادركت فجاة ان "ديفيد" سيكون حبيبا رقيقا عاشقا مكتمل الصفات.

لماذا واتته هذه الفكرة الكمالية ؟

فكرت انه ربما كان ذلك بسبب ضعفها وبسبب القوة التي تبدو عليه.

لانها كانت تائهة ، مذعورة وجائعة .

- المراة التي بحياتك يجب ان تحب ان تلاطفها هكذا .

- لا توجد امراة في حياتي ... على الاقل ضعي هذا في حسبانك ...

سكنت أناملها . لقد امسك الآن معصمها .

قالت قبل أن تضحك :

- كنت أعتقد دائما ان الطريقة التي يتبعها الرجل عندما يستخدم يديه للملاطفة تحكي الكثير عن طبيعته . لقد حكيت لك عن أشياء لم

اخبرها اي شخص آخر، اعتقد اني على وشك ان اجن .

- وحيدة في زنزانة ، وسط بلد ليس صديقا بحق . هذا يغير القواعد قليلا ، اليس كذلك ؟

- حسنا فلنستمر ، لدي اعتراف آخر ابوح لك به . ليست انامله فقط هي التي تكون حساسة جدا ولكنه صوتك ايضا .

قالت لنفسها :

- انا ملسوعة، مختلة ، بلهاء .

- تروقني نعومة بشرتك يا "إيما".

لم تجذب يديها .

في النهاية سالها :

- هل تعزفين البيان ؟ شعرت في نبرات صوته بالرقة والحنان وفكرت انه بعيدا عن هذا المكان الحقير كان سيصبح رجلا خطيرا. فوق ذلك قد اقلقها هذا الصوت بغرابة مذكرا إياها بان خبرتها بالرجال محدودة لذا كانت مذعورة كليا .

- "إيما" ؟

- هل لديك الكرة البلورية في حجرتك ؟

كانت "إيما" ترتعش .

- لديك اصابع عازفة بيان . والدتي واختي لديهما ايضا نفس

www.rewity.com

الأصابع . لقد قالتا لي . إن شكل الأصابع محدد خاصة لدى السيدات .

- انا لست طيبة .

- همم ... عندي انطباع بالعكس، فانت كاملة في كل ما تفعلين.

كان صوته موحيا لدرجة ان "إيما" شعرت ان قلبها سيخفق - العاشق الوحيد الذي لديها قليلا ما كان يجاملها - لقول الحق لقد تفنن في معارضة ونقض آرائها واختياراتها .

تمتمت :

- يا للتعب .

انامل "ديفيد" تصعد نحو معصم "إيما" ، سوف يكتشف بلا شك أن نبضها يدق قوة .

- منذ ان وقعت في هذا المازق، سالت نفسي كثيرا - كثيرا جدا إذا كنت مازلت المس يد امراة ... انت ناعمة جدا ورقيقة.

ابتسمت في الخفاء وهي تفكر في الامتعة الثقيلة التي جرتها في كل مطارات العالم .

- اشعر اني اقوى من ذي قبل .

- وسوف تخبرينني عما قريب انك بطلة في كمال الاجسام .

- ليس صحيحا ... ولكني لست إناء صينيا صغيرا صدقني. حاولت بياس ان تغير الموضوع .

قال ضاحكا :

- ماذا تريدين حتى اجيب ، هذا حقيقي ، في الكلية المدرب الذي كان يعلمنا كرة القدم الامريكية كان يريدني أن ...

- انا اشجع فريق "شارجير" .

- رائع . امراة تحب كرة القدم .

- لقد سخر مني "سام" بخصوص هذا الموضوع ، بالنسبة له إنه ضد الطبيعة ان تتذوق المراة الرياضات العنيفة .

- انا اتردد في موضوع اخيك. او على الاكثر فهو وقح كبير أو بالاحرى شاب صغير اخرق وتحديدا مضجر .

قالت مبتسمة :

- قليل من الاثنين ، ذكي جدا وغيور تجاه اخته الصغرى .

فكر "ديفيد" فجاة في اخته ، وفي مشاعر الضياع والقلق التي ستدهمها. كما لو كانت فهمت ما يجول بخاطره . فقد قررت "إيما" أن تعود لموضوع اخف .

- لو كانت ذاكرتي جيدة، فإن عظام القدم اعرض من عظام الكتف ، واضيق من عظام الفخذ، ويبلغ طولها اكثر من مائة وثمانين سنتميترا.

- بما انك تبدين مفتونة بتشريحي الجسدي . فهل هناك اي إحصاءات حيوية اخرى استطيع ان اقدمها لك في هذا الصدد ؟

- إن لك شخصية رائعة يا "ديفيد ونسلو" ... لكن رغم ذلك فانا احب يديك كثيرا .

- عجبا ... إنهما خشنتان من تاثير العمل بالمزرعة اولا ثم التمرين على الكرة ثانيا ...

لم ترد "إيما" فقد كانت ماخوذة بالصور التي تتخيلها بينما هو ممسك بمعصمها .

- "إيما" ...

لم تعد تستطيع الكلام .

- صغيرتي ؟

تمتمت وهي تطلق زفرة :

- نعم .

- هل ضايقتك ؟

- على الإطلاق يا "كازانوفا" . إن تجربة السجن لا تبعث على الهدوء حقا .

- نعم .. إذا اردت قول هذا . ولكنني ... لدي اعتراف اود ان اخبرك به.

- كلي آذان مصغية .

- لقد اثارني لمسك .

- ولكن ... لم تتلامس سوى يدينا .

- اعرف هذا ، ولكنها مثيرة ، أليس كذلك ؟

- بقيت وحدك فترة طويلة يا "ديفيد" ؟

- اكثر مما تتصورين .

- وكيف عرفت هذا ؟

- تعرفين ... انني خبير في المسائل النسائية كما يبدو .

- لم احاول ان اهينك ولكن شهرين في السجن بالنسبة لرجل اعزب مثلك ...

- رجل مثلي ؟

- كف عن المراوغة ... أم انك تعتبرني سانجة . من الواضح تماما انك رجل شهواني ... جدا .

- هذا غريب ... لم اعتبر نفسي "دون جوان" في الحقيقة .

- لنغير هذا الموضوع . فهذه المناقشة هي طريقة اكاديمية بحتة قال بنبرة جافة :

- حقا ؟ بما انك قررت عدم مساعدتي ، إذن سوف القي بنفسي في الماء.

- انا اعرف ، نحن ، انا وانت نعرف انه سيحدث بيننا شيء ما يتخطى الاحتياجات البيولوجية البسيطة .

www.rewity.com

- إنك تروقين لي يا صغيرتي . أنا لا أعرف لماذا ولا أعرف من جهة أخرى إذا كنت سعيدا ولكن ...

قالت مقاطعة إياه :

- لكن في النهاية ربما تكون فكرة غير صائبة أن يمسك كل منا يد الآخر .

قامت بحركة لكي تسحب يدها ، لكنها شعرت بالضغط يطوق معصمها .

- أرجوك لا تنسحبي هكذا ... أرجوك . إني أحتاجك حقا . لقد صادفت القليل جدا من هذه اللحظات الرائعة في حياتي ... دون الحديث عن هذين الشهرين الماضيين .

من الغريب أنها تشعر بالخجل أكثر من شعورها بالتعاطف معه . الخجل من عدم كونها على المستوى ... الذي لم تكن تشعر به قبل ذلك ، الملاحظات اللاذعة لعاشقها الوحيد سكنت في رأسها .

شرحت :

- يجب أن تعرف أني ليست لدي موهبة إشباع رغبات الآخرين.

- أنا لا أنتظر أي شيء منك ... غيرك أنت . لا أكثر ولا أقل . إني أحبك كثيرا كي أجبرك على أن تغيري نفسك ، ترتدي قناعا وتمثلي الكوميديا.

- هل أنت متأكد مما تقول ؟ هل أنت متأكد أنك تستطيع أن تقبلني كما أنا وليس كما تتمنى أن أكون ؟

- بالتأكيد .

فجأة ، ارتعدت كما لو كانت لم ترتعد من قبل .

أن ترتعد كل أعضائها . لقد كانت على وشك الإغماء، وفكرة واحدة كانت مسلطة عليها، والتي لن يفهمها ، لن يضعها في اعتباره ...

- "إيما" .

- نعم ...

- ألست بخير ؟

- بلى ، بلى ... كل شيء على ما يرام.

كان لديها إحساس بأنها غاصت بعيدا ، بعيدا جدا ، وفي النهاية طفت على السطح.الرئتان محروقتان، مشتعلتان، والأوقات تمر سريعا وأخيرا تستطيع التنفس .

- الأمور على ما يرام ... لكن أتوسل إليك دعنا نغير الموضوع.

- حسنا . هل أخذوا مجوهراتك ؟

- أية مجوهرات ؟

- لا أعرف ، ساعتك، سوارك ، قرطك أو عقدك ...

- ساعتي فقط .

www.rewity.com

- رغم ذلك انا .. انا سوف اسالك سؤالا .

- اي سؤال ؟

- هل انت متزوجة ... مخطوبة ؟

- أوه كلا . لا هذا ولا ذاك ! من يستطيع ان يتكيف مع اسلوب حياتي؟

قالتها وهي مطلقة زفرة احدثت ضجة.

وانت ؟

- لقد كنت متزوجا ... ولم اعد كذلك منذ عامين .

وسوف يضحكك هذا، إنها لم تتحمل اسلوب حياتي ...

- أيوجد اطفال ؟

- كلا .

- كنت اتمنى لو كان لدي اطفال .

- وانا ايضا ، لكني لم أجد بعد المراة التي تقبل ان تتحمل اعباء الحياة العسكرية ، وإني لاعترف ان هذا ليس - بلا شك - بالشيء الهين.

همهمت منتحبة:

- انا متفقة معك تماما . كم عمرك ؟

- منذ ثمانية أيام ... بلغت الخامسة والثلاثين .

- أوه ، حسنا سوف نحتفل بهذا بعد إطلاق سراحنا .

انفجر "ديفيد" في الضحك ، لقد بدأ يهدأ .

اغلقت "إيما" عينيها . سعيدة بانه لم يسالها عن اسباب مثل هذه الملاحظة . وبغرابة نمت في قلب "إيما" رغبة ملحة لإثارة حياة "ديفيد ونسلو" هذا وان تمنحه المتعة وان تساعده. من جهة اخرى ، بشان عائلتها وهؤلاء الأطفال الذين تعتني بهم. من ستعرفه ؟ في أي حياة اخرى ستندمج ؟ إنها لم يكن لديها الوقت. كان ذلك بسيطا ايضا مثل ذاك . ليس الوقت مناسبا .

احست بضغط "ديفيد" على معصمها يخف .

- معذرة . إني اشعر ببداية شد عضلي .

- أوه ... إذن ... إذن ، ربما يجب علينا أن ...

- ليس بعد .

- اخبرني عندما تصبح غير قادر على الإمساك .

- وعد ، يا صغيرتي .

- انت لا تطاق !

- إنهم يقولون ذلك لي دائما .

- اعتقد إذن اني يجب ان اتعود على صغيرتي هذه !

- رائع ... مدهش . فلنقل إن هذا سيكون سرنا .

تمتمت :

www.rewity.com

- أعدك .

- أتقسمين ؟

- حسنا ، في هذه الحالة . سوف أحاول ألا تصطك أسناني في كل مرة تناديني فيها هكذا ، لكن سيكون هذا مؤلما .

- لقد توصلت إلى ذلك .

مرت لحظة طويلة من الصمت و"ديفيد" لا يشعر باي ألم في ذراعيه ولا كتفيه .

- أنا ... يا صغيرتي !

- نعم ...

- سؤال : لدي إحساس بان عينيك جميلتان.

أجابت :

- زرقاوان ، لقد ورثتهما عن والدي. ووالدتي من أصل إيطالي وهي بلا شك من نقل إلي شغفها بالطعام الجيد . أتتخيل الباقي؟ أنا أمارس نظاما غذائيا على الدوام .

- أنا لا أكره القوام الجميل ، ولكنك تبدين جميلة في كل الحالات .

- وأنت ، يجب عليك - إذا سمحت لنفسي - أن تدقق في مجاملاتك .

- بالضبط . سوف أستمر قبل أن تقاطعي حديثي :

إنك في الحقيقة لا ينقصك شيء ولا حتى هذا الجانب البسيط من المرأة الشريرة، والذي يبدو لي . لذيذاً على الإطلاق .

- همهمت ...

لقد أحرزت تقدما ، وبسرعة ومن جهة أخرى أنا ... ذراعاك تؤلمانك أليس كذلك ؟

- إني أخشاهما .

اقترحت عليه بلطف :

- أعتقد أننا يجب أن نأخذ أنا وأنت فترة راحة قصيرة.

تشابكت أناملهما وشعرت "إيما" بيد "ديفيد" التي كانت تنسحب .

خفضت رأسها مستغرقة في حزن عميق .

كانت في حاجة لأن تنفجر في البكاء ، أن ترتطم بالجدران وأن تثني القضبان . لقد كانت قلقة من أجله . لم تكن تستطيع أن تتحمل أن يعاني، وكانت تتمنى لو ألقت بنفسها بين ذراعيه وتظل هكذا للأبد.

- أنا حزين يا "إيما" .

- لا تعتذر يا "ديفيد" كل شيء على ما يرام . سأحاول أن أنام قليلا. لقد كنت رائعا ... وصبورا .

- بفضلك يا صغيرتي .

- نم جيدا .

- وأنت أيضا .

التفت "إيما" في وشاحها وتمددت مستخدمة حقيبتها وسادة. كانت تفكر في أن لديها قلبا كبيرا ... كبيرا لدرجة أنه كان سينفجر، ثم نامت.

www.kanaan.com

الفصل الخامس

لقد مر الآن أسبوع على حبسها .

جلست "إيما" على سريرها وتذكرت عذوبة وهدوء هذه اللحظات التي عاشتها في الحب .

هذه لحظات قبل الفجر . مشطت شعرها، كل شيء كان صامتا. هذه الساعات القليلة كانت بمثابة هدنة في هول الأيام .

صياح صفارات الإنذار ، انفجار القنابل، صرخات المساجين الذين يعذبونهم .

دوي طلقات البنادق الرشاشة غير المحتمل .

كانت تخاف كثيرا ولكنها اكتشفت - في دهشتها الكبيرة - انها تحتفظ بداخلها بشجاعة غير مشكوك فيها . ومن ثم كان هناك رجل في الحجرة المجاورة والذي لم تكن تعرفه أبدا، قد تحدثت معه، أراحها عندما كانت مرهقة ، واضحكها في أسوأ اللحظات وساعدها على ألا تجن .

سمعت "إيما" "ديفيد" الذي كان يتاوه ، ولكنها فضلت أن تبقى صامتة مادامت لن تكمل هذه المرحلة من روتينها اليومي .

هو يمشي الآن في حجرته . ونهضت هي لتقلده واستمر التمرين مدة ساعة . ولم تتحقق من هذا التوحد الغريب بينهما الذي تحاول أن تجعله كاملا موفقة خطواتها مع خطوات "ديفيد" بعد أن جدد التمرين نشاطها ، جلست من جديد وبدأت في تفتيش حقيبتها لتجد فيها أي شيء تكتب به . لقد سقط القلم في قاع الحقيبة .

انزلت يدها فصادفت قميصا قديما وزوجا من الأحذية .

شعرت بشيء ما سميك بين القطن . وكان هذا بمثابة ومضة أمل.

قلبت الحقيبة وافرغت محتوياتها على ركبتيها .

ابتسمت حينما لمحت ظرفا لامعا به شوكولاتة .

تمتمت :

- شوكولاتة .

وامسكت بقطعة الشوكولاتة كما لو كانت تتعامل مع كنز .

www.kawnain.com

قالت متعجبة وهي تقفز واقفة :

- لقد وجدت قالبا من الشوكولاتة . هل سمعتني يا "ديفيد" ؟

- انا لست أصم !

تجمدت ابتسامتها لكنها بذلت مجهودا لكي تتغلب على خيبة أملها . كانت تعرف انه يريدها أن تلزم الصمت في هذه الساعات من الضحى .

- الظرف لم يكن نفسه ممزقا . أنا لا أستطيع أن أصدق أني لم المحها إلا هنا ، أما عن الحراس ...

- لقد قلت لك من قبل إنهم حمقى ، مازالت لدي ساعتي ، فإنهم لم يستطيعوا أن يجدوها عندما كانوا يفتشونني .

- سنتقاسم الشوكولاتة يا "ديفيد" .

- أنا لا أحب الشوكولاتة يا "إيما" . التهمي إذن هذا القالب الكريه، واصمتي !

دهشت من اللهجة التي استخدمها . لقد استغرق بضع ثوان لكي يفهم . لقد تعارفا جيدا اليوم وتشاركا أفكارهما ، أحلامهما ومشاعر قلقهما ورغباتهما أيضا .

انخرطت "إيما" في البكاء . إنه يضحي من أجلها . إنه يتضور جوعا. لكنه يراعي مصلحة هذه الشابة عن مصلحته الخاصة. لقد استوضحت الصوت ثم وقفت .

- لا تلعب دور البطل ، ليس هذا ضروريا . يوجد ما يكفي لاثنين . مرر يدك إذن من القضبان وشاركني هذا الكنز الصغير .

رد عليها بصوت مخنوق :

- انت بحاجة إلى طاقة يا صغيرتي .

- وربما انت لا .

- انا متماسك يا "إيما" دعيني وشاني، وكلي أنت الشوكو ...

قالت مقاطعة إياه :

- انا ارفض ان المسها إذا لم تشاركني إياها .

- لقد بدأت في إثارة أعصابي يا انسة "هاملتون" .

- وانت تتصرف مثل بغل من "مونتانا" وتوقف عن هذه اللعبة السخيفة ومد ذراعك . وإذا رفضت ساعطيها لأحد الحراس .

لقد تمتم ببعض الشتائم التي يفضل الا تفهمها .

لقد تسمعت بحدة . إنه لم يقف ، ولم يمش نحو ركن الحجرة . ولم تسمع غير ضوضاء الرياح التي كانت تهب محملة برمال الصحراء .

لقد بدأت تفقد صبرها .

- اسمع يا "ديفيد ونسلو" هذا هو إنذاري الأخير .

إذا لم تمرر يدك الكريهة خلال القضبان فسالقي بهذه الشوكولاتة البائسة في اتجاهك - أملة أن تلتقطها .

www.kanzmor.com

تحرك "ديفيد" نحو ركن الحجرة ومن ضوضاء خطواته خمنت انه كان يجب عليه ان يخرج عن ذاته .

- إنه الجانب الإيطالي هو الذي يظهر منك يا صغيرتي !.

ردت عليه :

- وجانبي الايرلندي في نفس الوقت .

رجل سليم العقل كان يجب أن يهرب كالطاعون أمام هذا التدبير المنظم . إن هذا لا يجدي في شيء يا "ديفيد لم يستطع احد ابدا ان يجعلني اغير رايي عندما ...

- قاطعها :

- فليحمني الله من هذا النوع من السيدات .

ابتسمت "إيما" ، لقد عادت إليها روح الدعابة .

قطعت قالب الشوكولاتة إلى جزءين ووضعت قطعتها في جيب الصدر لبلوزتها وتقدمت نحو ركن الحجرة .

مررت ذراعها بين القضيب وبين الحائط ومدت يدها ... فلم تجد إلا فراغا .

- "ديفيد" ، يدك !

- ستصبحين غير محتملة عندما تكبرين في السن يا "إيما" .

- إذن ، حاول أن تجعلني لطيفة.

شعرت بانامل "ديفيد" تمس جلدها . عندما اغلق يده على يدها اضطربت على إثرها حتى إنها كان عليها أن تسعل كي لا يسمعها تتاوه .

- حضرتك ... أو ه... أريد أن اقول أنت قلقة !

اعلن بصوت فظ :

- لقد افتقدتك ربما يجب علينا أن نعيد النظر في مواعيد اللعب بالايدي . ونستطيع ان نضيف ساعة من الصباح إلى جانب آخر النهار والمساء؟

- فقط إذا كانت كتفك تتحمل .

- إني اتحمل اي شيء طالما ساكون معك يا صغيرتي .

فتحت "إيما" فمها لكن إجابتها تلاشت في الحال عندما سمعت بابا ثقيلا من الحديد - والذي كان يغلق الممر - ينفتح بعنف . لقد ارتجفت وتركت قطعة الشوكولاتة تسقط .

- ارجعي إلى الوراء يا "إيما" في الحال !

قفزت "إيما" للخلف باستياء وانتشلت يدها من الحائط . وبعد ذلك بثانيتين كانت موجودة باكثر اركان الحجرة ظلمة، كان قلبها يدق سريعا وكانت ترتعد بتشنجات تارة محرقة وتارة باردة، لقد عرفت عن طريق الخبرة أن الحراس نادرا ما يقومون بزيارات للمساجين في هذه الساعات من النهار .

WWW.AKWNADOM

لقد أحصت على الأقل أربعة أصوات مختلفة للأقدام، أربعة بدلا من واحد ، لقد أصبح لديها سبب جديد للرعشة .

تساءلت وهي تخشى من معرفة الإجابة :

- أربعة ؟ لماذا ؟

رجال الجيش مروا أمام حجرتها وتوقفوا أمام حجرة "ديفيد" .

استندت "إيما" على الحائط وهي على وشك الإغماء . شخص فتح الباب . باب "ديفيد" . أحد الحراس وجه له أمرا .

تصلبت "إيما" كي لا تفوتها إجابة "ديفيد" ولكنها لم تسمع شيئا... ولا كلمة .

بعد ذلك ، فجاة ، سمعت جلبة مخيفة ...

شخص يتعارك، أحد ما يتعارك في غرفة "ديفيد" عندما سمعته يتاوه من الألم ، تعرفت على صوته الذي كان يلقي بالسباب، سقطت "إيما" منهارة على الأرض . تاوهت ووضعت يدها على فمها .

حاستها السادسة أخبرتها . كان يحاول أن يجعل هؤلاء المتوحشين ينسون أنها تشغل الحجرة المجاورة .

تمتمت :

- "ديفيد" ؟

كانت تريد أن تقول له ألا يحميها ولكن كيف ؟ ثم إنها خافت فجاة من

أن تدخلها لن يفيد إلا في تثاقل الأشياء عليه . فسكتت صرخ أحد الحراس بالعربية . وصاح "ديفيد" شاتما . سمعت صوت حشرجة، ضربات . ضربات .

شعرت "إيما" أن دمها يتجمد . وهرولت كالمجنونة نحو القضبان صارخة .

استدار أحد الحراس ووجه سلاحه نحوها . تراجعت "إيما" وتعثرت بركن سريرها .

فقدت توازنها وسقطت على البلاط .

نهضت وهي تلهث برعب ولمحت "ديفيد" يجذبه شخص إلى خارج الحجرة . رأته في لحظة، لحظة ، في حلم أو في فيلم تصوير بطيء لقد لمحت شعره الأسود وعينيه البندقيتين اللتين تعبران عن القسوة المرعبة والافتخار، والوقاحة الشرسة في وجهه. يبدو جسمه ضخما، وكتفاه العريضتان كانتا متكتلتين مثل كتفي الملاكم الذي يتفادى الضربات .

صرخت باسمه :

أشار إليها برغم الدم الذي يسيل من شفته .

- اهزميهم يا صغيرتي .

كان على "إيما" أن تضع يدها على فمها كي لا تناديه..

أسكت أحد الحراس "ديفيد" بضربة كوع في بطنه . سمعته يزدرد

لعابه بضجيج . وانزلق متقطع الأنفاس .

منعه حارس آخر من السقوط والتقطه من كتفه.

وهي مرعوبة ، رأت هؤلاء الجنود الأربعة الذين يجذبونه وهم يدفعونه على طول الممر .

لقد حدث صفق الباب المعدني وبعد ذلك ساد الصمت عندما فتحت يدها ولاحظت أنها كانت تمسك بقالب الشوكولاتة طوال الوقت .. انفجرت في البكاء وعندما وجدت في النهاية أن لديها القوة على التحرك ، أجبرت نفسها على المشي ، المشي بلا انقطاع ، بلا هدنة ، كما علمها ثلاث خطوات للأمام ، ثلاث خطوات للخلف. لا تفكري .

في منتصف فترة ما بعد الظهيرة بدأت "إيما" تخشى الا تراه مرة أخرى ، وهي خافضة رأسها ، استجمعت كل ما تبقى لها من قوة ودخلت في الصلاة . الصلاة من أجل من استولى على قلبها حتى يعود إليها ، يعود إليها هذا ليس إلا آخر ومضات الغسق، عندما غزا الليل كل شيء ، الصحراء ، الزنزانة ، نفسها ، وقلبها سقطت على سرير القش.

- "ديفيد" ، "ديفيد" ! هل تسمعني ؟

انتفض "ديفيد" وهو متربع على سريره .

فقد أعاده الحراس بعد أن ضربوه بضع ساعات بالمطرقة الكاوتشوك.

مرت أربعة أيام طويلة و"ديفيد" يرفض أن يرد على نداءات "إيما". لم يكن يريد أن يحملها عبئا إضافيا . كان يرفض أن يجعلها تشاركه عبئه.

وضع يديه الاثنتين على أذنيه وأغلق عينيه . لكنه لم يستطع أن يمنع جسده من الارتعاش .

- "ديفيد" .

لا يسمعها ولا ينصت إليها ولا يقول أي شيء .

- "ديفيد" ؟ أخبرني فقط أنك بخير . نحن لن نتحدث سويا ، هذا وعد، لكني أرجوك أخبرني أنك تسمعني .

تنفس بصعوبة محاولا أن يهدأ . لكنه لم يتمكن من ذلك .

والغضب الذي كان يشعر به عاد إليه وصعد إلى حلقه في شكل حشرجة .

همست له :

- "ديفيد" "ديفيد" دعني أساعدك ، لقد فعلت الكثير من أجلي. إنه دوري الآن . أتوسل إليك يا "ديفيد" .

تمتم :

- كلا .

- أشعر أنك تبتعد ، وأنك تلقي بي بعيدا . "ديفيد" أنا لا أستطيع أن أسمح بذلك . أنت ... أنت جزء مني اليوم وللأبد ...

تحسس صدره بيديه . يبدو أن به العديد من الأضلع المكسورة، كل شهيق كان بلاء.

- أعرف أنه من الصعب عليك أن تتكلم معي ، لكن ... أنا أريد... أوه "ديفيد" .. أريد أن تحاول . أريد ...

انخرط في البكاء ، البكاء مثل صبي صغير ، وهو ينادي ... ينادي امه . ينادي أي شخص طيب . شخص يحبه ... ينادي "إيما" .

- أنا أريد ...

متذمرا :

- أنت ... ماذا تريدين ؟

- أريد أن أخنك بين ذراعي ، واضمك إلي .

- وأنا ... وأنا أيضا . تكلمي ... تحدثي معي يا صغيرتي ... أنا بحاجة ... لأن تساعديني ... أن أنسى ... انسى .

قالت بلا تردد :

- كل واحد منا بحاجة إلى الآخر ، نحن مثل فريق ...

امتلأت عيناه بالدموع .

- مثل فريق يا "ديفيد" . ولن يغير ذلك أحد ... اتعرف ، أثناء غيابك ، لم أتوقف عن التفكير ... وأتخيل هذه الأشياء الفظيعة التي عانيتها . أعرف أنك لن تخبرني باي شيء عنها . أنت مازلت تعتقد اني اوزة

صغيرة بيضاء ، أليس كذلك؟

- كلا ! ... على الإطلاق ... على الإطلاق .

- لقد تقاسمت معي كل شيء يا "ديفيد" ، قوتك وشجاعتك ، وعلمتني أيضا أشياء عن نفسي كنت أجهلها ، أو أفضل تجاهلها . أعتقد أنك لا تثق بي حقا ، وأنك ترفض أن تستريح قليلا ولكن صدقني ، أنا لن أتخلى عنك !

- أعرف ... أنا أعرف ... كل هذا .

رفع "ديفيد" رأسه ليفحص العلامات التي وضعها على الحائط وتساءل إذا كانت لديه القوة أن يقوم وينقش على الجبس ثماني وستين مرة .

- لقد كنت أخشى ألا تعود مرة أخرى ... أنا لا أتخيل كيف أستطيع أن أعيش بدونك .

- نبتة السوء ... أكثر مقاومة.

تمكن من أن يقولها بوضوح بالرغم من الألم الذي يحطم جمجمته .

- أنت لست نبتة سوء !

تنحنحت ..

- إنك شخصية فريدة !

تذوق النعومة. نعومة تذكره بنعومة الستان أو بالأكثر تذكره

www.rewity.com

بالحرير ورقة اللهجة التي استخدمتها .

- لست مميزا ... يا صغيرتي ، ورم ... ورم !

- إني حزينة يا "ديفيد" .

قال مطلقا ضحكة عالية سببت له ألما مبرحا :

- وانا ... انا ايضا حزين . تكلمي ... دعينا نتحدث عن شيء آخر .

استجمع آخر قواه ليرد عظام جذعه إلى موضعها، كان عليه أن تصطك أسنانه كي لا يصرخ من الألم .

امتلأت عيناه بالدموع وابتلت يداه بالعرق .

صرحت له :

- لقد حلمت بالمنزل اليوم ، إني افتقده .

- هل هو مكان جميل ؟

- اعتقد ذلك . كان في البداية جراجا صغيرا مواجها للبحر . وورثته كانوا يعيشون في "نيويورك" وارادوا ان يتخلصوا منه . كل شيء قد تم إصلاحه، من القذارة التي لا تتصورها، واستطعت الحصول عليه هكذا بسعر معقول ، وهذا غالبا يعتبر شيئا نادرا في "كاليفورنيا" وقد وضعت له رسما واوصيت به مهندسا معماريا وبعد ذلك ، عمي الذي كانت لديه شركة للبناء تقوم باعمال كبيرة... انت ... هل هذا يسليك حقا ؟

- نعم .

- حسنا ... النتيجة ، إنه بيت ريفي انيق مكون من حجرتين ، إنه مميز ، مريح . والشرفة ... اوه يا إلهي ! إن له شرفة رائعة .. لقد زرعت ايضا بعض الزهور بجانب المنزل .

- حدثيني ... حدثيني عن الشرفة .

- يستحق المشاهدة ، الشاطئ والبحر إلى ما لا نهاية . إنه اول شيء أراه في الصباح ، وآخر شيء اشاهده قبل ان انام . عندما اكون في رحلة افتقد كل هذا . واحب ان ابدا يومي بنزهة على الشاطئ . مع اول شعاع للشمس ، هذا الإحساس بالنقاء ، والسكينة وصوت تلاطم الامواج .

كان "ديفيد" يفكر في الايام والليالي التي سوف يقضيها بالقرب منها.

تمتم :

- متفاخرة ؟

وهو يقول ذلك كان يفكر ايضا في مزرعته بـ"مونتانا" . كان سيصفها بلا شك ، إذا استطاع أن يتكلم بنفس التفخيم .

- تماما وانا فخور بان اكون كذلك . ساموت واجعلك تكتشف هذه القطعة من الجنة ... اتعرف ، إني افكر في ذلك بشدة عندما اشعر بالخوف او حينما لا استطيع النوم . اتفهم ، إذا اردت المجيء حقا .

www.rakmnaa.com

- هل انا مدعو ؟

- إنك لن تهيئني إذا احتفلت بعيد ميلادك لاحقا عندي !

- انا ... انا اشعر اني عجوز على ان احتفل ... بعيد ميلادي المئوي يا صغيرتي .

- لكن لا ... انت فقط مشوه قليلا . حاول ان تستريح .

- امم ...

- الم يكسر اي شيء ؟

- لا اعتقد . ربما ضلع مشروخة او اثنتان .

- اهي المطارق ؟

- نعم .

اوضحت بعزم :

- اعرف انك سوف تتحسن . إنك اقوى واكثر رجل مقاوم اعرفه.

قال قبل ان يتراجع :

- كلا ، صبي ، صبي مذعور . "إيما" ، ارجوك ... لا تبكي !

- انا لا ابكي .

- إن اذني مازالتا تعملان .

- "ديڤيد" ...

قال متذمرا :

- تكلمي ... تكلمي معي عندما تكونين خائفة جدا .

قالت وهي تضحك ودموعها تسيل :

- أرى أن سيدي قد تحسن ، النقيب "ديڤيد ونسلو" يصدر أوامر .

- معذرة ... لقد ... لقد اردت فقط ان اقول لك : إنك لست وحيدة .

- اعرف ذلك . والآن ارح نفسك .

- كلا !

- ماذا ؟

- لا .. لا . تحدثي معي ، إني مشتاق لسماع صوتك . إني خاصة مشتاق إلى أن امسك بيدك ، إلى أن اداعب بشرتك الناعمة. إني مشتاق إلى ...

سالته :

- هل ينتابك الكابوس كثيرا ؟

- من وقت لآخر .

- أفترض أن هذا ليس غريبا ؟

- لا تطرحي الأسئلة يا "هاملتون" ، تكلمي !

- نعم ، سيدي القائد !

قال مبتسما :

- سوف ... سوف أحاول أن أعلمك التحية العسكرية .

WWW.AKWNA.COM

قالت مازحة :

- حاسة التوقع الخفية عند كثير من السيدات ، سوف احققها بفضلك! ماذا يمكن أن يمنعني !

قهقه قبل أن ينثني . يداه مسنودتان إلى جذعه ، رئتاه تحترقان وضلوعه تؤلمه .

- لا تجعليني اضحك يا "هاملتون" واستمري في الحديث .

- انا طباخة ممتازة .

- هل هذه مزحة ام انك جادة ؟

- جادة يا عزيزي . إن افضل صديقة لي تعتقد اني مجنونة كي اقبل شيئا كهذا . لكن هو ذاك ، إني أعشق وجودي بالمطبخ وانا افعل ذلك لكي ارضي نفسي ، بالرغم من اني اتبع نظاما غذائيا . إنها حلقة مفرغة .

- يجب عليك أن تتخذي من الطهي مهنتك .

- لئيم كبير !

مدد "ديفيد" ساقيه منصتا لصوت "إيما". سكن الألم لقد كان في حاجة إليها ، هو دائما في حاجة إليها . لم يعد يتخيل حياته في المستقبل - إذا لم يفلت أبدا من هذا الجحيم - بدون ان تكون بجواره .

ضغط على أسنانه ونهض . كاد يسقط مغشيا عليه. وضع خده على

الحائط وأغلق عينيه وانتظر حتى تنتهي الرعشات التي تنتابه. ازدرد لعابه بصعوبة.

استمرت في الحديث ، وفي رواية اشياء بسيطة وجميلة ، وصوتها كان مثل البلسم ، تمكن "ديفيد" من ان يتقدم إلى ركن الحجرة حابسا انفاسه ، فقد رفع ذراعه ومرره بين القضيب المعدني وبين الحائط . قطرات من العرق كانت تغطي شفته العليا، بللت قميصه . ارتعد لكنه رفض أن يستسلم للألم .

بدا التاثر على وجه "إيما" واضحا .

- انا ... يا صغيرتي ... انا ... انا قريب من الحائط .

قفزت من سريرها وهرولت نحو ركن الحجرة .

- هل ... هل تستطيع أن تتماسك وتقف ؟

- انا ارتعش ... لكني واقف ... يبدو لي ذلك .

سمع ضوضاء غريبة .

- ارجوك ... يا صغيرتي ، لا تبدئي البكاء ثانية .

أجابته :

- في الواقع ، لقد احتفظت لك بقالب الشوكولاتة . سامرره لك، إنه سيمنحك بعض الطاقة .

حاول أن يرد ولكنه لم يستطع أن يلفظ بكلمة . وشعر بطعم الدم في

WWW.AKWAM.COM

فمه .

طلبت منه :

- أخبرني بما تريد ، أرجوك .

- أنت ... أنا أريدك ... انت . أريد أن ... المسك .

مررت يدها على طول الحائط . والتقط "ديفيد" معصمها . لم يتحدثا ، ولكن يديهما ظلتا متشابكتين حتى الفجر .

الفصل السادس

- مستعدة أن أعطي أي شيء في مقابل أن أستحم وأغسل شعري .

- احلمي ، احلمي كثيرا ، يا صغيرتي .

اخرجها رد "ديفيد" عن طورها . إنها لم تعد تستطيعه .

قهقه "ديفيد" على الجانب الآخر من الجدار .

- لم أعد أتحمل أن أكون قذرة هكذا . أنا ... أنا ساجن .

اقترح "ديفيد" :

- استخدمي خيالك، تخيلي أنك على وشك أن تسترخي في مغطس واسع به ثلاثة حمامات أرضية ... احلمي . حمام يملؤه الصابون

WWW.7AKAWNA.COM
مـــرمـــوريـــة

والروائح العطرية ، الماء الساخن ... ، من ثم ستؤدين لي خدمة انا أيضا ساحاول ان اتخيلك هكذا ، وهذا ليس بشعا .

أجابت في صوت عنيد :

- إن هذا لا يكفيني .

- هل لديك حل آخر ؟ إن القاعدة هنا هي أن يحرم المساجين من كل ما يكون ضروريا لحياتهم بصفة مطلقة . انا لا اعلمك شيئا...

شاب صوتها الكثير من الحنو بعد أن أحست بان خوفها قد تلاشى .

عادت لتجلس على السرير وحاولت ان تهدئ من روعها .

- "ديفيد" ، معذرة ... انا لا اريد أن اقلد الأطفال ، ولكني لا اعرف إذا كنت ساستطيع أن اتحمل هذا النظام لوقت طويل . لقد مر اسبوعان حتى الآن ، ولم يحاول احد إنقاذنا ، وبالرغم من ذلك فانا متاكدة ان والدي،المسؤولين في المنظمة قد علموا بالفعل ما حدث لي . لماذا لم يفعلوا شيئا ؟

- يجب أن نامل في ذلك .

تاوهت :

- أعلم ... أعلم ذلك ، إنك على حق !

اقترح :

- فلنتحدث عن كتاب أو عن فيلم ، سيساعدنا هذا على تضييع

الوقت.

تمددت "إيما" ووضعت رأسها بين يديها . كل هذا محزن ، محزن كليا ولكن هل هناك اي حل آخر؟ فلتستعيدي الذكريات .

- هيا ، أخبرني عن كل شيء يا سيادة النقيب .

- ماذا تريدين ؟

- أريدك أنت .

- إن هذا لا أمل فيه ، فلتراعي الظروف ... ما رايك في فيلم مغامرات مع بطلة رائعة ...

- ما أطيب ذلك !

- ... لديها صدر مثل القنابل ، وفم يلتهم كل وجهها ، وردفا رجل وساقان طولهما ثلاثة امتار ؟

- ما أطيب ذلك ، ما أطيبه ...

مرت حوالي ساعة وهما مستمران في الحديث عن الأفلام والروايات بطريقة كانت بعيدة عن تكدير "إيما" - فقد قضاها "ديفيد" دون أن يشعرها انها من شخص فظ لانه لم يكن كذلك ، وبين ردين متتابعين اكثر أو اقل إثارة ، زين حواره معها بملاحظات تدل على فطنته المدهشة. في حين انه كان يفعل ذلك كما لو كان مرغما عليه ، كما لو كان يريد أن يخفي عن "إيما" افضل جزء في شخصيته .

www.alkottob.com

لقد عرفت أيضا أنه يخاطر بتعبه سريعا .

سالها :

- هل أنت بخير ؟

- أعيش .

- ليس هذا ما سالتك عنه .

- لقد علمتني ألا أبكي على حالي ، لماذا إذن ... ؟

- أنت ... هل أنت في حاجة إليّ ؟

انتابتها رعشة واقشعر جلدها ، لقد فهمت جيدا ، أنه يطلب منها، إذا أرادت أن تعطيه يدها . ولكنها فكرت في شيء آخر تماما ، في أشياء بسيطة وممتعة مثل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، أن تقبله و...

- كيف حال كتفك ؟

- لن تقلقك لأنها عادت إلى حالتها الجيدة .

ردت عليه وهي تمرر ذراعها بين القضيب وبين الحائط .

- ولكن إذا شعرت بالقلق ...

أحست في الحال بيد "ديفيد" التي أمسكت بيدها .

تاوهت من الانشراح وأغلقت عينيها لتستمتع أفضل باللحظة .

وأحدث ذلك في داخلها إحساسا غريبا إحساسا بالمتعة والحرمان والألم والبهجة .

- إنك أكثر إنسانة سريعة التأثر يا "إيما" .

- هل يجب عليّ أن أعتذر ؟

قهقه "ديفيد" ولكن ضحكة المرح هذه قد تغيرت من تأثير الألم .

- كلا يا صغيرتي ، أنا لا أريدك أن تتغيري ، إذا كنت تعرفين... سوف يستمران في تشابك الأيدي في صمت خلال لحظات طويلة.

- أخبرني يا "ديفيد". أتخبرني بالحقيقة في الحال ؟

- بخصوص ماذا ؟

- كتفك ؟ هل تحسنت حقا ؟

- نعم ... لقد اختفى اللون الأزرق تقريبا . من الواضح أنه قد قلت زرقتها ...

- و... ألا تشعر بضيق عند المشي أو التنفس ؟

- بلى ، يا دكتورة "هاملتون" .

- ليس الأمر مضحكا. هذه الأنواع يمكن أنه تسبب لك جروحا . داخلية خطيرة .

- أنا مغتر إلى هذا الحد .

تمتمت :

- هكذا ، أنا أعرف ، لكني لن أتوقف عن التفكير فيك وفيما فعلوه بك أنا ...

WWW.AKAWYA.COM

- أنا ، لا شيء إطلاقا يا صغيرتي . لكن هذا دوري في طرح السؤال .

- أي سؤال ؟

- ماذا ستقولين لو أخبرتك أني مشتاق جدا جدا لأن أمارس الحب معك ؟

أجابت وهي تحاول أن تكون صريحة قدر المستطاع :

- سأقول ... سأقول لك إن لدي إحساسا بأنك قد مارست الحب معي في كل مرة كنت تداعب فيها يدي .

- ولكنني ... ولكنني أريد أكثر يا صغيرتي ... أكثر بكثير ، وأنت؟ أنت . أنت ... ألا تفكرين مثل ... مثلي ؟

اعترفت وقد احمر وجهها خجلا :

- بلى ... تقريبا طوال الوقت .

- أنا لا أضع في اعتباري أن ...

- ولماذا ؟

- أنت ... أنت تبدين أقل تشوقا إلى الحديث عن هذا .

- هذا فقط لأني أعرف أننا لن نواتينا الفرصة أبدا لنتعرف بود.

- ولماذا ؟

ركزت عينيها على القضبان المشؤومة للزنزانة .

- يبدو لي هذا جليا ، أليس كذلك ؟

- ليس هذا ما سألتك عنه ... لماذا تريدين أن تمارسي الحب معي؟

- لأنك ... لأنك تعني الكثير بالنسبة لي .

سألها بصوت مخنوق :

- ألم تكوني حبيبة لأحد من قبل أبدا ؟

أجابت :

- مرة ، أو غالبا هذا ما كنت أعتقده، أما الآن فأنا أتفهم أنها لم تكن سوى صدمة قلبية .

- ومتى انتهى ذلك ؟

- منذ بضع سنوات . لم يستطع أن يفهم أن ما يعرضه عليّ بأن أصبح بجانبه دوما لا يكفيني .

- مغرور .

- هذا صحيح ، لقد كان كذلك .

- هل هو أيضا من اتهمك بتبديد وقته بعيدا عن الحياة الحقيقية؟

تأوهت :

- إن لديك ذاكرة قوية، لقد قال لي هذا وهو يرتب حقيبته قبل أن يترك شقتنا . اعتقدت وقتها أنه قد غرز سكينا في قلبي، ولقد قللت كثيرا من انشطتي في عمل الخير لأكون بجانبه . كان يعتقد أني لم أذهب بعيدا بالقدر الكافي ، كان هذا كل شيء أو لا شيء وعندما رفضت

WWW.RAKWHA.COM

هذا التعسف ، تركني .

تمتم :

- شخص غبي قدم إليك خدمة .

لم تستطع "إيما" أن تمنع نفسها من الابتسام . كان "ديفيد" على حق .

- إنه الآن فقط أدركت كل هذا . لكن ، وقتذاك عندما كنت وحيدة كان الاختبار قاسيا .

فتح أصابعه عدة مرات لفك تقلصها وامسك بمعصم الشابة .

- بماذا تشعرين وأنت معي ؟

هذا السؤال جعلها تقفز بغرابة، لو سالها سؤالا غيره ، لم يبد لـ"إيما" فاحشا ولا في غير موضعه .

أوضحت :

- أنا لا أعرف باي شيء أبدا .

ظل صامتا فترة قبل أن يسألها :

- ماذا كنت تريدين أن تقولي عندما أخبرتني أني جزء منك ؟ لقد أدهشها السؤال ، قطبت حاجبيها، وبدأت تفكر. الموقف الذي انغمسا فيه والرعب الذي عاشاه سويا منعاها من أن ترد عليه بمزحة ، ومن ثم فهو كان يستحق أن تعبر عن نفسها بصراحة أكثر منه .

بدأت :

- عندما قادك الحراس ، اعتقدت بالفعل أنك لن تعود أبدا . ومن هنا فهمت الأهمية التي تعنيها بالنسبة لي . كما لو كنت قد طبعت صورتك في قلبي .

- أتعرفين ، ربما أنت لا تفعلين أي شيء سوى الخوف من معاناة الأعراض التي يعانيها الرهائن . ألم تواتك فكرة أنه في المستقبل سوف تستطيعين نسيان كل شيء ، وتلقي في ظلمات ذاكرتك هذه الأحداث البشعة وكل ما يرتبط بها. أنا ، على سبيل المثال ؟

- إن هذا لا معنى له يا "ديفيد" ، أنت لست سجاني . أنت حليفي ، صديقي ، وأعز مخلص لي ، السجانون لا يعطون أيديهم لمسجونيهم ، ولا يواسونهم بعد الكابوس ، لا يحاولون حمايتهم ، ولا يعلمونهم كيف يصمدون!

أوضح وهو يضحك بمرارة :

- أليس لديك الكثير من الحلول الأخرى غير الصداقة في نهار هذا اليوم؟

شحب وجهها ، وعقلها كان يسارع في البحث عن الكلمات التي يجب أن تقولها ، كلمات مرحة وصافية ، كلمات عن الأمل والحرية.

ازدردت لعابها . ولم تقل أي شيء من هذا ، أي شيء . ماعدا همسها بجملة فقيرة :

WWW.AKAWYA.COM

- اريد ان اكون اكثر من صديقتك اكثر من مخلصة لك ... اريد ان اكون معك .

شعرت بانامل "ديفيد" ترتعد قبل ان ينسحب فجاة .

صرخت قائلة :

- اوه ، يا إلهي ، كلا !

صفق باب الممر. وهناك خطوات تقترب .

صرخ "ديفيد" :

- انصتي . انصتي ! ابتعدي عن القضبان !

- ولكن .

- الآن ! ربما سيحضرون لنا الوجبة التي نسوا ان يقدموها لنا بالأمس . إن لم تكن مسالة ...

- إنهم يمشون ببطء هذه المرة و...

- اصمتي ! لا يجب عليك ان تهلعي ، ولا يجب عليك ان تبدي لهم انك خائفة منهم .

شدت "إيما" على يد "ديفيد" بحرارة وتراجعت للوراء في وسط حجرتها. كان قلبها يدق بشدة وحلقها جافا ، لقد كانت خائفة ، وجائعة.

وقف شابان في زي رسمي غير متشابه امام زنزانة "إيما". كانا

يتفرسان في سجينتهما بفضول واضح ، حقيقة كانا مزودين ببنادق رشاشة ، لكنهما لم يلوحا بها بطريقة عدائية . في الواقع، لقد لاحظت في دهشة انهما يبدوان ابلهين ومترددين. الأول قام بخطوة للأمام وبدا مجاهدا في غلق الباب الصدئ . عندما دخل ، امسك بذراع "إيما" وجذبها نحو الممر .

سالها "ديفيد" :

- "إيما" ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟

أجابت :

- في الوقت الحالي انا لا افهم إلى أين يقودانني ؟

قال بصوت لحوح :

- ابقي هادئة . ولا تلعبي مع الجندي الصغير !

ادارت راسها ولاحظت يدي "ديفيد" المتعلقتين بالقضبان تتشبثان بها كما لو كانتا تحاولان تحطيمها .

تمتمت قائلة :

- إنهما ليسا بشعين ولا محنكين ايضا مثل الآخرين .

- كل شيء سيصبح على ما يرام ، يا صغيرتي .

وضع احد الشابين يده على فم "إيما" لتصمت .

صرخت قائلة :

WWW.KAWNA.COM

- "ديفيد" ! لا تنسني !

- أبدا ! أبدا !

- ابتعدت الخطوات وصفق باب الممر . ثم ساد الصمت .

تمتم خافضا رأسه :

- أبدا !

توجهوا نحو مبنى أسمنتي والذي كان بابه مفتوحا .

دفعا "إيما" دون عنف لداخل غرفة مضاءة إضاءة خافتة وانغلق الباب، وسمعت شخصا يدير المفتاح. لمحت فجاة امراتين تقفان في الظل وتحملان مسدسين كبيرين .

احست بانها سوف يغشى عليها وباخر مجهود لها للمقاومة، أدارت رأسها بكل حواسها باحثة عن مخرج ، عن إمكانية الهروب، الفرار من هذا الكابوس ، كل ما كانت تراه اثناء هلعها ، لم يكن إلا جدرانا باهتة ، بابا مصفحا، شبابيك ذات قضبان ، وسقفا من الأسمنت و... مقبض دش في إحدى زوايا الحجرة .

تقدمت السيدتان على مهل. المسافة التي تراجعتها ، احست "إيما" بخشونة الحائط على ظهرها جذبتها إحداهما من قبضة يدها ودفعتها تحت الدش ، وفتحت الماء البارد الذي تدفق على كتفي "إيما" .

قررت هذه الأخيرة الا تتجرد من ملابسها .

كانت تعرف أن النساء في هذه المنطقة محتشمات إلى حد التطرف .

لمحت قطعة من الصابون في سلة فمدت يدها لتاخذها .

غسلت شعرها وملابسها بالصابون عندما سمعت إحدى السيدتين تصرخ . أشارت إلى صدار "إيما" بسن سلاحها واشارت لها بان تخلعه وعلى الفور اصبحت "إيما" عارية وبدات في الاستحمام بتعجل . كانت عيناها مغلقتين واحمر وجهها من الخجل والخوف .

اغلق الصنبور وصمتت "إيما"، وجمعت ملابسها المبللة التي كانت مكومة على الارض والتي انتزعتها إحداهما منها .

جذبتا "إيما" من تحت الدش وقادتاها دون مراعاة لآدميتها نحو سرير يحتل ركنا من الحائط . وهناك أعطتاها فستانا أسود فضفاضا وطرحة، وبالرغم من انها لم تجفف نفسها فقد ارتدت الملابس بسرعة . استطاعت ان تسترد ملابسها وقد رافقتاها السيدتان إلى فناء مجدب .

وقفت "إيما" بين السيدتين اللتين استرختا على دكة من الخشب. وضعت ملابسها القديمة تحت ذراعها، وبيدها الأخرى خلعت الطرحة ومشطت شعرها . رقة الجو ، وهذه الشمس التي تلقي بنسيم خفيف لم تفعلا شيئا لتهدئة هذا الرعب الذي ملأ قلبها .

كانت تفكر بلا انقطاع في "ديفيد" . كانت تعرف انها - رغم الرغبة التي كانت لديها - لن تستطيع ان ترضى بتحررها إذا لم يتحرر هو

أيضا ، وبالرغم من أن سجانيها كان يجب عليهم أن يشكوا انه إذا لم يحرروه، فهي لن تبقى مكتوفة اليدين أمام مصير صديقها ، إذا ما تم منحها حريتها ، بعد وقت طويل ، والذي بدا لها وكانه استمر ساعات .

استيقظت السيدتان ، لقد راتهما برعب وهما تصنعان نوعا من الحبال في شكل دوائر من الخيط ورغم ذلك ظلت محتفظة بكبريائها عندما وضعتا ذلك الحبل حول معصميها .

تبعت السيدتين نحو مطبخ كبير . حيث كان يقف هناك رجل عجوز، وضع لها برتقالتين في داخل ملابسها المبللة . شكرته بنظرة . وبعد مرور دقيقتين ، كانت مسجونة كنوع من التحفظ .

جلست على الأرض وتاملت البرتقالتين ، ومر الوقت وهي تحاول أن تتخيل المستقبل ، مستقبلها بدون "ديفيد" ، لكنها لا ترى اي شيء سوى ممر طويل مظلم ومثبط للعزيمة. برغم الجوع الذي كان يؤلمها ، فقد رفضت أن تلمس حتى ولو جزءا صغيرا من البرتقالة، إنها كانت ترغب في اقتسام هذه المتعة مع "ديفيد" .

أو اكثر من ذلك ...

الفصل السابع

لا تنسني ...

لن استطيع ان انساك ابدا يا "إيما" .

"ديفيد" كان يمشي موسعا خطاه في زنزانته مثل حيوان متوحش في قفص .

قبضتاه منقبضتان ، ورأسه منخفض ، كان يروح ويغدو دون انقطاع، ثلاث خطوات للأمام ، ثلاث خطوات للخلف .

وأحس انه ممزق بين الأمل في أن تتحرر والخوف من أن تخضع لاستجوابات طويلة مؤلمة.. وتطول الساعات كان يتذكر كلمتها:

- لا تنسني ...

شعور بالذنب كان ياكل ضميره . إنه يريدها أن تتحرر ، بعيدا عن هذه الحفرة العفنة ، ولكنه في نفس الوقت تقتله الرغبة في أن تعود لقربه في الحجرة الأخرى ، لكي يستمر في سماعها وفي الحديث معها وفي الإحساس بنعومة أصابعها بين أصابعه .

لقد أحبها ، لقد كان بحاجة إليها ولكنه أراد بخاصة أن يطلق سراحها....

ومرت ساعات أخرى .

ساقاه وعظامه كانت تؤلمه من كثرة المشي. في النهاية تمدد على السرير القش ، من فرط التعب والألم ، لقد كان مرهقا . لم يرفع عينيه عن مربع الضوء هذا الذي يلمس الأرض والذي يضيق شيئا فشيئا مع حلول الليل .

- لا تنسني ... لا تنسني ...

كان هذا مثل الصدى ، مثل وسواس يعود بلا انقطاع ، هذه الكلمات التي قالتها والتي اقترنت بنظام تنفسه وباقل حركة من حركاته .

- لا تنسني .

- "إيما" ...

تمدد على ظهره وأسند رأسه إلى الحائط . كيف استطاعت أن تصدق

أن بإمكاني أن أنساها ؟ ماذا يحدث لها الآن ، في نفس هذه اللحظة ؟ أين هي ؟ في أمان... في صالون سفارة دولة صديقة؟ مربوطة على كرسي يهينها جلادوها ؟ أو أسوأ ... بالتأكيد أسوأ.

- كاد يجن . هي التي أعادت إليه الأمل ، التي منحته ثقتها، التي كانت ببساطة وصراحة منفتحة عليه ولم تخف عنه أي شيء في حياتها ، عن ضعفها ، ومرحها ، هي التي يرغب أن يموت فداء لها .

أين كانت ، يا إلهي ، أين هي ؟

لقد أحبها ، لقد أراد جسدها ، حضورها ، ضحكها ودموعها . لقد أراد كل شيء، روحها وقلبها . لقد أراد أن تقول له كل شيء وأن تمنحه كل شيء . لقد حل الليل، أغمض عينيه وبدأ في الصلاة ، في الصلاة من أجلها ، لكيلا تعاني ، لكيلا تعذب بشدة .

مد ذراعه كما لو كان يجذبها ليضمها إليه بشدة .

بدأ في التأوه ونام .

مرت بضع ساعات.. أيقظ صرير معدني "ديفيد" في فزع، لقد ظل جالسا على سريره حتى تبتعد خطوات الجنود وصفق باب الممر ، ورن بحزن .

وقف وانطلق نحو الحائط .

- "ديفيد" ؟

www.rewity.com

لم يستطع أن يرد في الحال ، فإن قلبه كان يدق بسرعة شديدة. لقد كانت لديه الرغبة الشديدة في الضحك والصراخ، في التقيؤ والبكاء .

- "ديفيد" ؟

- كل شيء ... هل كل شيء على ما يرام يا صغيرتي ؟

- هل افتقدتني يا "ديفيد" ؟

قطب حاجبيه ، خوفا من أن تكون قد تعذبت بشدة، أصبح ذلك واضحا في عقله .

كرر :

- هل أنت بخير ؟

زفرت بضعف :

- الآن ... نعم .

- ماذا ... ماذا حدث ؟

- لا أعرف بالضبط .

- ارجوك يا "إيما" ! كلميني ، لقد كنت مريضا من قلقي عليك ، تكلمي!

- أعطني يدك يا "ديفيد" ، إن هذا ما أحتاجه بشدة أكثر .

مد لها يده من خلال القضبان .

سأل :

- ما هذا العطر ؟

- من الصابون ، لقد تركوني آخذ حماما ، ولا أعرف لماذا .

أجابها :

- ربما لأنهم يستعدون لإطلاق سراحك .

- ليس عندي إحساس بذلك . أعتقد أنهم لم يريدوني أن أبدو كالمتشردة ...

- يقال: إن كل هذا يناسبك يا صغيرتي .

- قليلا .

اعترفت بلطف .

- لم يوجد غير شيء واحد كان يشغلني .

أغلق عينيه :

- وهذا الشيء ... ما هو ؟

- أن أكون معك .

أجبر "ديفيد" نفسه على ألا يصدق ما قالته توا . الظروف ، الظروف وحدها هي التي جعلتها تتكلم هكذا . لقد كانت ضعيفة ، جائعة ومسجونة ... سياتي يوم سوف ترى فيه هذه الأحداث بشكل آخر ، حيث لن تظل عاطفتها نحوه كما هي ، واحسرتاه .

- هل أخذوا ملابسك ؟

- كلا ، ولكنها مازالت مبتلة ، لقد أعطوني لباسا تقليديا لأرتديه.

WWW.KAWYA.COM

زفر بضيق :

- انا ... هل كنت وحدك وانت تستحمين ؟

قالت وهي تضحك بمرارة :

- ليس بالضبط ، كان معي سيدتان ... وقد كانتا تحملان مسدسات من اكثر المسدسات التي رايتها غرابة .

- هذا حسن يا صغيرتي ... المهم انك اغتسلت ... اما الباقي أو ه.. حسنا ، سوف تنسينه .

- ربما ... يوما ما .

- هل حققوا معك ؟

- كلا .

- الحمد لله .

- الحمد لله ، اني أعدت إلى هنا ، بالقرب منك . لقد حبسوني بضع ساعات في مخزن . وكنت خائفة من عدم استطاعتي أن أراك ثانية، انا لن اغادر هذا المكان بدونك يا "ديڤيد" اتسمع ، انا لن افعل ذلك !

برغم التعب الذي كان يتعبه ، رفض "ديڤيد" ان يكذب عليها .

- ربما لن يكون لديك الاختيار .

تاوهت وبدات في البكاء:

- لن اتخلى عنك ابدا ، فانا لن اقدر على ذلك ، انا ... انا أحبك.

كان يفكر ، دون أن يجرؤ على قولها :

اعتقد جيدا اني انا ايضا احبك . كيف ستكون مشاعرك يا "إيما". ماذا سيكون شعورك عندما نتحرر ولن نعود نحن الاثنان وحدنا الموجودان ببساطة في العالم أجمع ؟ ماذا سيحدث إذن ؟

ضغط "ديڤيد" على اسنانه وشد على معصم "إيما" .

- سوف نناقش ما ستقولينه للسلطات عندما يطلق سراحك .

- ليس الآن يا "ديڤيد" ، انا ... معي هدية صغيرة لك. جذبت يدها وعندما قربتها من جديد ، وضعت برتقالة في يد "ديڤيد" .

سالها وهو لا يصدق:

- ماذا ... كيف ؟

- رجل عجوز يعمل في مطابخ السجن . لقد وضع برتقالتين فوق كومة ملابسي التي كنت احملها عندما مررت بالقرب منه .

ارتعد "ديڤيد" من الفرح ومن الخجل ايضا . يرتعد بسبب برتقالة لقد وضعها في جيب قميصه وعاد ليمسك يد "إيما" .

- اتعرف يا "ديڤيد" ، إنهم لم يؤذوني ، لقد كنت خائفة ، خائفة جدا ، لكن هذا كل شيء .

قال :

- انت بحاجة لأن تستريحي .

www.rewity.com

- إنه انت الذي أحتاجه .

فكر "ديفيد" انه يجب عليه أن يلهيها عن افكارها . لانها كانت على وشك ان تصاب بازمة نفسية .

قال محدثا ضوضاء :

- اسمعي ، عندما تجف ملابسك ارتديها تحت الرداء الذي أعطوه لك. وبهذا تتغلبين على الارتعاش عندما تشعرين بالبرد .

ردت ضاحكة :

- نعم ، سيدي النقيب .

- ويجب علينا ان ننظر في مسالة إمكانية إطلاق سراحك انت أولا يا "إيما" .

شعر انها تشبثت بيده .

- ليس هناك ما نناقشه . ساخبر كل الناس اين انت وانا أعرف جيدا خريطة هذه المدينة الكريهة لكي أحدد مكان السجن ، ثق بي....

- إن هذه الأصناف ليست بلهاء بالتاكيد سوف يغيرون مكان اعتقالي.

- إذن ، يجب عليّ ان اتصل على الفور باشخاص يوثق بهم .

- إنك ... إنك لن تدعيهم ينسوني ، أليس كذلك ؟

- سؤال ساذج أيها النقيب "ونسلو" .

- كان ذلك يمثل عائقا . لم يعد يستطيع أن يتمالك نفسه ، ولا أن يسيطر عليها :

- سوف أشعر بالوحدة عندما ياخذونك .

- اوه "ديفيد" اعرف ذلك . اعرفه، لقد اعتقدت حقا اني سوف أجن عندما جذبوك من حجرتك ليحققوا معك .

كان يحترق شوقا لان يصدقها . لكنه كان يخشى ما ينطوي عليه هذا الأمر من أخطار . ضغطت باصابعها على راحة يده .

سالته فجاة وهي تصارع الرغبة التي انتابتها :

- فيم تفكر يا "ديفيد" ؟

- فينا .

همهمت مبتسمة :

- وفي ماذا ايضا ؟

- خليط من الأشياء التقليدية، الواجب، الشرف، الوطن، الحرية، عائلتي ...

- انا سعيدة انك بدات بنا اولا .

- وهل يدهشك هذا ؟

تنهدت :

- استمري في الحديث يا صغيرتي . فانا مازلت افهم كيف اقرا

افكارك ... إذن أنا لا أعرف فيم تفكرين الآن .

- خمن ؟

- إنك ... إنك تتساءلين ماذا سيحدث عندما نمارس الحب .

سالته في دهشة حقيقية :

- كيف استطعت أن تخمن ذلك ؟

- إن لدي إحساسا اننا لدينا قلبان وجسدان اتفقا على الاتحاد لقد حدث هذا تقريبا ببطء .

صدمة بعيدة ، وصدمة اخرى نستطيع ان نقول: إن هناك عاصفة تقترب وبعد ذلك ، انفجارا مروعا ، صاروخا تتبعه قاذفة قنابل يدوية ، اعتقد "ديفيد" انه هجوم جوي .

ارتجت جدران الزنزانة ودخلت سحابة رمادية من الغبار من النافذة المسيجة بالقضبان . بدات صفارات الإنذار في النعيق . والصراخ وسط الانفجار الصاخب للقنابل، وعواء المدفعية المضادة للطائرات .

تمتمت "إيما" :

- إن هذا يقترب كل ليلة اكثر قليلا عما قبلها .

- بقليل من الحظ . سوف تتهدم جدران مركز القيادة لهذا السجن الكريه .

- إن هذا لن يفيدنا كثيرا .

- هذا صحيح .. لكني لن اندم على مصير هؤلاء الذين أعدوه لي على أسوأ وجه .

- كنت افضل أن تكون جدران زنزانتينا هي التي ...

- انهارت ... ونحن أسفلها ، أهكذا ؟

لم تجب ، لقد كانت لديها الرغبة في البكاء ، أن تبقى في أحلامها، أن تستيقظ في منزلها وتقول لنفسها إن هذا لم يكن إلا كابوسا لأن تسمع صوت والديها . و"ديفيد" ؟

فتحت فمها ... زعزع الانفجار المروع الذي لم تسمعه ابدا من قبل جدران السجن . الصواريخ المتفجرة والقنابل اليدوية لم تكف عن السقوط في جحيم من الصرخات ، والأدخنة والومضات المفاجئة التي اضاءت الليل .

تكورت "إيما" على سريرها ووضعت راسها بين يديها .

وانتشرت سحابة من التراب والجبس وحطام الزجاج في الزنزانة .

- "إيما" !

قالت متقدمة اربع خطوات نحو الحائط :

- كل شيء على ما يرام يا "ديفيد" ، كل شيء على ما يرام .

- مهما تكن هذه الأصناف التي تهاجم فهم ليسوا بعيدين وإنهم جادون .

- اتعتقد أن ...

انقطعت نهاية جملتها بانفجار قنبلة جديدة سقطت بمواجهة الأرض.

صرخ:

- عجبا أنا لا أعرف في أي شيء تفكرين ! إن هذا الشيء قد سقط على بعد خطوتين . إذن ، لو لم تكوني قد فعلت ذلك من قبل فاذهبي لتحتمي بأحد أركان الزنزانة، ابعد ركن ممكن عن الحائط الخارجي واحمي وجهك .

ذهبت "إيما" وزحفت على قدميها وهي تترنح لتفعل ما قد نصحها "ديفيد" به ، رائحة الأحماض ورذاذ الغبار الرمادي قد حرقا عينيها . استندت إلى الحائط وهي تسعل .

فجاة أصبح كل شيء صامتا ، صمت مهدد ثقيل مقلق أكثر من الانفجارات التي هزت جدران السجن .

يمكن أن نقول : إن هناك حيوانا يستجمع قواه لهجوم أخير ، لعمل أخير سوف يسحق كل شيء ، يستولي على كل شيء ، زنزانات ومساجين ، حراس وجنود.

- "ديفيد" ... "ديفيد" لا أريد أن نموت ...

- لن نموت يا صغيرتي . لو كان هناك قليل من الحظ ، فستكون هذه

تذكرتنا إلى النجاة .

زمجرة ، صفير بشع يمزق الجو . وقد عاد القصف فظا وشرسا.

تقلصت "إيما" في قبعتها وخفضت راسها . اثناء هداة لعشرات الثواني، رفعت حافة قبعتها والقت نظرة على الحجرة . إن هذا شيء مدهش ، حفرة ، حفرة في الحائط !

- "ديفيد" ، "ديفيد" ، هل تسمعني ؟

أجابها انفجار عنيف دفع بها نحو الجدران . وحاولت "إيما" بياس أن تستعيد تنفسها .

كان الهواء مشبعا بالغبار ، وبرائحة البارود ، والغاز، كان لديها إحساس بان انفها يحترق .

انفجار اخر، وسقط حجر ثقيل على ساقها فصرخت، كان السقف ينهار والآن تنهار وتطقطق قطع من الكمر الخشبي وتضاعف حجم فتحة الجدار .

- "إيما" ! "إيما" ردي عليّ !

شعرت "إيما" بيدين قويتين أمسكتا بكتفيها . مصدومة ومذهولة.

صرخت باسم "ديفيد" والقت نفسها بين ذراعيه .

قال بسرعة :

- إنها فرصتنا ، يجب أن نجري . الآن !

WWW.KAWNA.COM

ارتعدت "إيما" وانتابتها نوبة من السعال . كان الدخان كثيفا جدا أكثر من ضبابة شتاء في غابة .

أضاف برقة أكثر تاركا لها الوقت لتهدأ :

- لن يفصلنا أي شيء، أعطيني يدك .

بدأت هجمة صواريخ جديدة ، الغارة النهائية كانت تقترب . قاد "ديفيد" "إيما" نحو زنزانته خلال فوضى مرعبة من حطام الجدران ، بين هياكل معدنية وصفائح ممزقة . في اللحظة التي خرجا فيها ، انهار السقف الذي كان مائلا بزنزانة "إيما"، بضجيج وسط الدخان . خرجا إلى قرب الفناء . تبعت "إيما" "ديفيد" خطوة بخطوة .

لقد منحته الثقة غريزيا . لقد حماها . هي لا تخاطر بشيء ، أي شيء! متمددين خلف هيكل سيارة كانا يراقبان مجموعة من الجنود كانوا يجرون خائفين ليجدوا لهم ملجأ، بينما كانت سيارات الإسعاف بصفاراتها المدوية تندفع في الفناء لتبحث عن الجرحى.

كانا يجريان وهما يعرجان ، وظهراهما محنيان من مخبأ لآخر . وسط هذا الجحيم من الانفجارات حتى وجدا في النهاية مدخل السجن الرئيسي ، لقد كان مفتوحا وبدون حراسة . مركز القيادة الخاص بالمراقبة قد احترق وانتهى وسقط الباب الحديدي الثقيل على بعد عشرة أمتار ملويا ، ومكسورا ، كما لو كانت ضربة عنيفة قد خلعته .

تمتمت :

- إنه ... إنه حدث ببساطة وبسهولة كبيرة .

وهما يضمان كلا منهما الآخر، كانا يتفحصان الفضاء الخالي بشكل غريب .

القت "إيما" نظرة على "ديفيد" ، لاحظت علامات التعب التي طوقت عينيه، الشد العضلي في وجهه . حاجبيه المقطبين ، لقد كان غبار الجبس يغطيه من رأسه حتى قدميه ، كان من الصعب أن تصفه بأنه ولد جميل ولكنه كان يمتلك رجولة حقيقية، كانت تجعلها ترتعد من الأعماق. "ديفيد" أيضا . لم يفته أن يلاحظ هذه الشابة . بالرغم من شعرها الشاحب ، فستانها الذي ليس له شكل ، والغبار الرمادي الذي كان ملتصقا ببشرتها ، فقد كانت بالضبط كما كان يحلم بها . وأكثر .

قال فجأة :

- سوف يجب علينا أن نجرب حظنا ، هل أنت راحلة ؟

أومأت برأسها إيجابا ، مستعدة لأن تتبعه حتى إلى جهنم ، إذا طلب منها ذلك . وفوق ذلك ، ألم يعيشا من قبل حكاية أكثر واقعية من الجحيم؟

فجأة ، عشرات من الدبابات تتبعها سيارات الجيب وسيارات النقل العسكري عبرت المدخل وهي تلقي بوابل من القنابل والصواريخ على

آخر الجنود المحتمين بالسجن .

اهتزت الأرض . انطرح "ديفيد" و"إيما" ارضا . وعندما قاما كانوا قد تخطوهما بالفعل .

ومن جديد عاد هذا المشهد من الفراغ والسكون على بعد مئة خطوة من الزوبعة . ضغط "ديفيد" على يد "إيما" وانتظر حتى تتخلى هاتان العينان الزرقاوان عن تعبير الهلع وشخوص البصر الذي بهما .

- اسمعي يا "إيما" انا بحاجة لأن اعرف الطريق الأكثر وضوحا لديك للذهاب إلى صديقتك .

- إنه . إنه على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا من هنا ، نحو الشمال الشرقي .

لقد ذهبت هناك مرات عديدة.. مرات عديدة. من الواضح انها كانت مصدومة .

- انا.. انا ذهبت لمنزلها في الليل ... إذن ... إذن لن يكون من الصعب ان نجده .

امتلأت عيناها بالدموع . وكرة غليظة مثل الحصاة كانت تسد حلقها، نجحت اخيرا في ان تبتسم ابتسامة خافتة . اخذها "ديفيد" بين ذراعيه فتعلقت بقامته وضمته إليها .

تمتمت :

- إني ... إني أهبك قلبي وحياتي .

الفصل الثامن

هرب "ديفيد" و"إيما" . لقد نجحا في مغادرة اسوار السجن ولم يقابلا أي حراس ، عدا تلك الجثث المحترقة . المكومة قرب المدخل . لم يعترضهما أي قناص . ولا انفجرت من تحت اقدامهما اية قنابل . لقد هربا .

والآن هما يهرولان، يجريان في حواري صغيرة، يجوبانها ذهابا وإيابا .

العاصمة التي كانت صاخبة كالعادة ومليئة بالحياة مهما يكن الوقت كانت تشبه مدينة ميتة . ومع ذلك كانت تمر عربة مصفحة . وحينئذ كانا ينبطحان في الظلام ولا يظهران إلا بعد ان يختفي تماما

www.7AKAWATI.com مـرمـوريـة

صوت عجلاتها على الأسفلت .

عندما وصلا في النهاية إلى مدخل منزل "ماري وينثورب" .

طرقا الباب مثل المجانين، ولكن أحدا لم يجبهم . وعندما دارا حول المنزل وجدا الغرف مظلمة والنوافذ موصدة ومحاطة بقضبان.

سألت "إيما" :

- أهي ليست بالمنزل إذن ؟

- يجب عليّ إذن أن أقوم بدور لص المنازل وأهتم بهذا القفل عن قرب. فنحن لن نخاطر بكسر زجاج الشباك .

- ولماذا لا نهجم على سفارة "كندا" ، إنها على بعد خطوتين من هنا .

هز "ديفيد" رأسه . وأشار إليها باقتضاب :

- ليس هناك وقت . سيطلع النهار قريبا ، ولن نستطيع الدخول.

قالت "إيما" :

- أنا سوف أقوم بالمراقبة .

باح لها :

- إنك رائعة ، أعرف أنك ميتة من التعب ، ولكني أعدك باننا سوف ندخل بسرعة .

استقرت "إيما" بالقرب من الجدار الصغير الذي كان يحوط الحديقة . وبدأت تراقب كل المحيطين . كان الحي المسكون هادئا هدوءا غير طبيعي ، بينما كان هناك شخصان يتشاجران على بعد بضعة أمتار

منهما . كانت "إيما" تراقب نوافذ الفيلات المجاورة أيضا .

- أي شخص يرانا ، يا إلهي ، أي شخص ...

ناداها :

- ها هو المدخل .

عادت "إيما" أدراجها ودلفت إلى المنزل .

أغلق "ديفيد" الباب بهدوء ، ثم ذهب ليتأكد من أن كل الستائر مسدلة على جميع الفتحات .

عندما دخل الصالون وجدها جاثية وسط الحجرة . خلعت غطاء رأسها وشدت ذراعيها حول صدرها لتقاوم الانتفاضات الباردة التي انتابتها . ولأنها لم تستطع الصمود لوقت طويل فقد بدأت في الارتعاش .

بعد ما أضاء شمعة ووضعها على المنضدة ، جلس "ديفيد" على ركبتيه بالقرب منها وضمها بين ذراعيه بينما استولى عليها تشنج عنيف .

شيئا فشيئا تمكنت من أن تسيطر على نفسها ، لكن "ديفيد" .

استمر في هدهدتها بلطف .

في النهاية تمتمت :

- معذرة .

سألها واضعا ذقنه على رأسها :

WWW.KAWMA.COM

- وفيم المعذرة ؟

قالت بشجاعة :

- أنا ... عندي إحساس بأن هذه الستة عشر يوما الأخيرة قد جعلتني... كيف أقولها ؟ ... محبطة .

احمر وجهها خجلا ونهضت واقفة .

قال ممسكا بيدها :

- لقد كنت أنا على حق ، يا "إيما هاملتون" ، أنت خرافية ، أنت جميلة بصورة لا تصدق .

انفجرت في ضحك عصبي ومررت يدها في شعره .

- غالبا ، كارثة حقيقية .

صحح لها وهو يقف على قدميه .

- كارثة فاتنة.

أخذ الشمعة وقادها إلى المطبخ .

- أنا أموت جوعا ، وأنت ؟

ألقت نظرة عليه . وبحركة مصرة من عينيه المظلمتين اللتين كانتا تتاملانها . احمر وجهها خجلا وفهمت أنه يتكلم عن نوع آخر من الجوع .

أحست بضربات قلبها المسرعة . وازدردت لعابها . ولم تعد تستطيع التنفس . وقفت على أطراف أصابعها واستدارت إليه ، وأخذت تستمتع

وهي تجذب خصلات شعره المنسدلة على جبهته .

التقط "ديفيد" يدها وقبلها عند معصمها .

اعترف لها :

- أنا محتاج لأن أضمك بين ذراعي .

لم تتحرك "إيما" . ارتعشت عندما مرت يد "ديفيد" خلف كتفها وجذبها نحوه . فاستسلمت له . ثم ، فجأة بدأ رأسها يدور، ويدور ...

تراجعت ودفعته .

سألها :

- لماذا لا تذهبين لتأخذي حماما بينما أعد لك شيئا ؟

قالت وهي غاضة النظر :

- أنت تستحق أن تذهب أولا .

- أنت مرهقة ، أعصابك متعبة يا صغيرتي، وحمام جيد سوف يفيدك.

وبنظرة أظهرت موافقتها وغادرت الحجرة . عندما عادت للصالون ، بقدميها العاريتين وقد ارتدت ببساطة فستانا استعارته من صديقتها ، لم يستطع "ديفيد" أن يمنع نفسه من الانتفاض .

ابتسمت له بتصنع كما لو قد رجع غريبا كما كان بالنسبة لها .

شيء مريب ، كتلة من الثلج ، نزلت ببطء على طول عموده الفقاري .

اقترح :

WWW.KAWNA.COM
مـــرمـــوزة

- استريحي ، وكلي قطعة من الخبز . سوف اذهب لآخذ حماما وبعد ذلك سوف نفكر في الحال . لا تخشي نفاد الأكل، فهناك الكثير من الطعام في الثلاجة ونحن سوف ندفع ثمنه لصديقتك .

فكر "ديفيد"، بانه قد فهم فجاة معنى التعبير "لديه قلب ثقيل" .

كانت تتحاشى نظرات صديقها . وكانت تبدو مكتئبة . جلست لتتناول القليل من الجبن الذي وضعه "ديفيد" في الطبق .

قالت قبل ان تضع قطعة الجبن في فمها :

- لقد أعددت الحمام من أجلك ... وهناك الكثير من المناشف .

اغلق قبضتيه:

- نحن ... نحن نشبه الغرباء المؤدبين .

تنهدت فقد كان على حق .

قال وهو يتاملها كليا :

- كيف تشعرين ؟

لقد كان يريد ان يصرخ، أن يتاوه ..

- انا لا اعرف حقا بماذا اشعر . انا ... انا لا اعتقد اني تمكنت من ... التغلب على كل هذا . منذ بضع ساعات فقط ، كنا... كنا ...

- نحن لن نعود هناك مرة أخرى ، اتفهمين . كفي إذن عن انشغالك بهذا ، لقد انتهى الكابوس .

- إني خائفة ...

- معذرة ؟

- إني ... إني خائفة من ان تشغلني فكرة اني ... اني تحررت. إذا اخذونا مرة ثانية . تخيل ما سيفعلونه بنا !

لم يتوقف "ديفيد" عن التفكير في هذا ، لكنه كان يمنع نفسه من الكلام عنه لكيلا يقلب "إيما" تماما .

- نحن لم نخرج بعد من الغابة ، لكنها لم تعد إلا مسالة أيام . لقد تحملت الكثير ، الكثير من الاختبارات يا صغيرتي ، لماذا لا...

صرخت :

- كف عن معاملتي كمراهقة كلانا يعرف انك قد عانيت كثيرا اكثر مني ... وانك لم تسقط متهشما من أجل هذا !

لقد عرف انه قد فقد صبره .

- إذن ، في هذه الحالة ، كفي انت ايضا ، توقفي عن ان تكوني قاسية هكذا مع نفسك . إني منجذب إلى هذا النوع من الصغيرات البائسات . ولست انت. وإذا رغبت ام لا ، لقد كنت رائعة . انا لا اعتقد اني كنت ساتحمل هذه الأيام والليالي الأخيرة إذا لم تكوني بجانبي . هل يكفيك هذا؟

دهشة من هذا الرعب المنطلق ، همست :

- يكفيني هذا يا "ديفيد" .

اغلقت عينيها :

WWW.KAWNA.COM

- لقد أصبحت مجنونة قليلا ، أنا متعبة وجائعة . لكني سوف أحاول أن أهدأ ... وكل شيء سيكون على ما يرام ، أترى ؟

أجابها برقة شديدة :

- أنت تعرفين ، أنهم لن يعودوا ولن ياخذونا .انسي إذن الماضي . فكري في المستقبل . في الغد ، كوني إيجابية .

عندما فتحت عينيها لاحظت أنه قد اختفى . لقد كانت تقاوم دموعها لقد أحبته .

لقد أحبته بعمق ، وبلا أمل . وكل شيء مشكل في أنه يحس بنفس المشاعر تجاهها ، هي تريده ، ترغبه مهما يكن المستقبل.

عندما ظهر في الصالون ، كان مثيرا وجذابا بشكل غير عادي وهذا ما جعل قلبها يدق بسرعة داخل صدرها . لقد جعلها تعاني. جعلها ترتعد بمجرد حضوره أمامها ، فشعرت بسخونة دمها الذي ينساب في عروقها . لقد كانت ضعيفة وبقدر ما كانت ضعيفة كانت مليئة بالطاقة . لقد كانت تشعر بانها مصدومة . كانت تريد أن تعرفه ، أن تحبه، تحتضنه وتسقط بين ذراعيه . لقد أرادت أن...

فكرت فجاة أنها يمكن أن تبقى مدة قرن تتامله . وتشاهد كتفيه العريضتين ، ذراعيه المفتولتين ، جذعه القوي وبطنه المستوي . أن تلتهمه بعينيها .

لقد كان يستطيع أن يقلب حالها عندما كان يمسك بيدها ويداعبها

اثناء ليالي الكوابيس الطويلة ، داخل السجن ، وفي قلب اليأس نفسه .

لم يعد يستطيع السيطرة على نفسه ، عاطفته نحوها قد أحرقت قلبه. وتسلطت على فكره ، وأعمت عينيه . لكنه كان يرى أنه لا يملك الحق في أن يرغب فيها . لقد كانت سريعة التاثر، جذابة ، ومثيرة، لقد كان يريدها اكثر مما كانت تريده .

- إني أحتاجك كما تحتاجني .

رفعت ذراعيها ولفتهما حول عنقه .

- أنا أريدك وانت تريدينني .

ثم همهمت :

- لقد حلمت بهذا منذ وقت طويل . منذ وقت طويل جدا ... حلمت به دائما .

تمتم بصوت متقطع :

- لا تتحركي ، ابقي معي يا صغيرتي . إني بحاجة لأن أضمك بين ذراعي . أريد أن أشعر بدفء حنانك . أريد أن أنجح في أن اقنع نفسي بأن ... بانك موجودة ، وانك من نتاج خيالي ... أو حلم شاب مراهق ...

المراة ، المراة التي أراد دائما أن يعرفها ، التي أراد دائما أن يقابلها . كل هذا وهو يعرف أن تلك هي المراة التي يريدها ويحبها .

- أنا ... أنا كائن حقيقي يا "ديفيد" . وانت كذلك .

www.rewity.com

- هل انت متاكدة يا صغيرتي ؟

- إني اريدك يا "ديڤيد" اكثر من اي وقت اردتك فيه من قبل... منذ وقت طويل . انت الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يسعدني.

وقضيا الليلة معا .

الفصل التاسع

تمددت "إيما" مثل قطة . وفتحت عينيها وجدته يداعبها .

تمتمت وهي مبتهجة :

- إنها طريقة رائعة لتوقظ شخصا .

استدارت على جانبها وقربت يدها من وجه "ديڤيد" . وتباطات انامله على وجنتيه الخشنتين .

قال لها مبتسما :

- همم ... الذقن ينمو سريعا ...

ردت :

- اتعرف . لقد كنت احلم هذا الصباح .

www.rewity.com
مـــروريـــة

اتسعت ابتسامة "ديفيد" .

تأملت "إيما" نفسها في المرآة . هذا الفستان التقليدي الذي وجدته يناسبها تماما ، ولم تكن عيناها الزرقاوان تشبهان عيون كل السيدات اللاتي تقابلهن في العاصمة .

يبقى سؤال : ماذا سيحدث إذا استوقفوهما واستجوبوهما عن وجودهما بالشارع بعد حظر التجول .

فكرت :

- سيتحتم علينا أن نكون حذرين ، حذرين جدا .

دخل "ديفيد" الحجرة ، شاهدت انعكاس صورته في المرآة فبداكبيرا ، قويا ، ومثيرا... لقد كان يرتدي زيا مضحكا .

إن نمو شعره أثناء اعتقاله لم يكن شيئا سيئا .

استدارت نحوه وراقبت بانتباه زي التنكر الذي جهزته له .

أضاف دبوسا هنا أو هناك ورجعت ثلاث خطوات للخلف .

علقت :

- انتبه عندما تمشي ، لا يجب على المرء أن يلاحظ كل هذه الجيوب ذات السوست على طول الأكمام والساقين في زيك الرسمي ... إنه أحمق... كنت أتمنى، أفضل لو استطعت أن أجهز لك معطف طفل .

وضع "ديفيد" يديه على كتفي "إيما" وجذبها نحوه .

- أريحي نفسك ، لن ينشغل أحد بما ارتديه .

قالت متنهدة :

- معذرة ، إني مضطربة قليلا ، لقد كانت لدينا الفرصة مساء أمس .

- إن فرصتنا لن تتوقف هنا . ثم إن هذه الحرب الأهلية لم تهدأ. إنك تعرفين مثلي أن المحاربين في الشوارع يعودون في المساء بعد غروب الشمس ولا يتوقفون قبل الفجر ، هذا النوع من الناس مشغول جدا بتحطيم بعضه البعض، لن يعيرونا أي اهتمام. الخطر الوحيد هو أن نقع بين نارين.

حاولت أن تبتسم بشجاعة ، لقد أرادت بشدة أن تقع في حفرة من الابتسامات في الجانب الآخر من العالم ، أن تكون في منزلها، المواجه للمحيط ، بين ذراعيه ، وسط سرير أبيض كبير .

- كل ما حدث لي كان جيدا منذ أن كنا بالطريق .

قال بلطف :

- حتى بعض اللحظات ... كل اللحظات الصغيرة . في الواقع، هل تركت رسالة لصديقتك ، في حالة عدم وجودها في السفارة؟ أومأت "إيما" برأسها إيجابا .

- لقد أخفيتها لها في عبوة البسكويت .

جحظت عينا "ديفيد" :

- لا تخف ، لقد كانت هذه طريقتنا في المراسلة عندما كنا بالمدرسة الثانوية .

وضع وجهها بين يديه .

- انا لست خائفا . انا اثق ... بك ، فانت الشخص الوحيد الذي اوليه كل ثقتي .

برغم العهد الذي قطعته على نفسها بالا تضعف . لم تستطع "إيما" أن تمنع نفسها من الارتعاش .

- سوف نصل إلى هناك يا "ديفيد" ، اليس كذلك ؟ نحن سوف نصل إلى هناك .

أعلن بضوضاء :

- انا غالبا سوف انفجر !

اختلجت "إيما" ، لا يبدو ان "ديفيد" قد لاحظ رد فعلها هذا . جذبها من كتفها وهو يحمل الشمعة الصغيرة ، وقادها إلى خارج الغرفة .

فهمت "إيما" انها لم تعد تستطيع التراجع . انها لن تستطيع ان تؤخر ما لديها من كلام اكثر من ذلك . الحقيقة ، حقيقتها .

بدأت :

- مهما يكن ما سيحدث لنا هذه الليلة ، أريدك أن تعرف أن هذه الستة عشر يوما الأخيرة كانت أجمل أيام حياتي .

أحدث "ديفيد" حركة انسحاب .

- أرجوك يا "ديفيد" ، دعني انهي كلامي . انا بحاجة لأن اتحدث معك قبل ان نخرج .

توقف "ديفيد" دون أن يتكلم .

تابعت :

- هو ذاك، انت اعز صديق لدي، وانت حبيبي بفضل شجاعتك ، وقوة شخصيتك ، لن افقد الأمل ، انت ايضا ارق واحن شخص عرفته ... انا ... انا احبك يا "ديفيد" وساظل احبك للأبد .

تقدم نحوها واخذها بين ذراعيه وضمها .

- وانا ايضا احبك يا صغيرتي . احبك ، لو كنت تعلمين ... الآن لقد حان الوقت لنعود للمنزل يا صغيرتي .

www.rewity.com مـــروريـــة

الفصل العاشر

صفارات الإنذار كانت تعوي ، والدبابات المضادة للطائرات كانت تنعق بلا توقف ممزقة السماء بومضات بيضاء مفاجئة تتبعها صاعقة مرعبة .

نساء باكيات، وأطفال مذعورون يهرولون وسط رجال مسلحين كانوا يعرجون في الزاوية من شارع لآخر .

وصل "ديفيد" و"إيما" إلى هذا الخليط من البلبلة .

أمسك "ديفيد" بيد "إيما" مسيطرا عليها عندما مرا بمجموعة من القناصين وفوق ذلك ، فقد كان يخشى انفجار قنبلة أو صاروخ. ولكن لم يكن لديهما خيار آخر ، لقد كانا مضطرين للحاق بالسفارة .

كانا يجريان من مخبأ لآخر ، ويختبئان خلف الجدران نصف المنهارة لبناء مهمل ، انبطحا فجأة على الأرض ليتحاشيا طلقات المدفع الرشاش قبل أن يرحلا مقوسي الظهر في فترة الهدوء الأولى . ودائما هما متشابكا الأيدي، وصلا إلى أسوار السفارة ولم تكد تمر دقيقة .

كل الحراس كانوا متعاونين . عبثا حاول "ديفيد" أن يشرح الوضع ، يكرر ويصرخ بانه مواطن أمريكي ، وضابط بالجيش الأمريكي ، ولكن شيئا لم يحدث. صوب جندي سلاحه نحو صدر "ديفيد" لكن "ديفيد" لم يتراجع ، ورفض أن يعود . ازداد الحزن الذي تشعربه "إيما" عندما رفضوا أن يفهموا انها صديقة لموظفة بالسفارة .

تمكن "ديفيد" في النهاية من إقناع أحد الجنود بإبعاد ضابط الحراسة .

رجل أصلع شجاع ، في الخمسين من عمره . نزل درجات سلم السفارة على مهل وتقدم نحو السور .

إشارته كانت عبارة عن رسم كريكاتوري على نسيج قطني من "اكسفورد" .

قال ببطء :

- من الواضح أنكما كنتما مفقودين لمسافة بضعة كيلو مترات ، أعتقد أني أعرفكما جيدا . إن محافظتيكما في الدولة قد أرسلت لنا ملفيكما. إن الصور تشبهكما إلى حد كبير . هلا دخلتما .

وانفتحت الأسوار .

وضع "ديفيد" ذراعه على كتف رفيقته ثم دخلا المزار .

- اسمح لي أن أقدم نفسي : مقدم "ونسلو" .

- لقول الحق ، لقد استقبلنا الكثير من النداءات والرسائل عن موضوعكما . استريحا فانتما في امان . سوف اخطر السفير . إنه لن يصدق انكما على قيد الحياة إلا إذا راكما .

القى "ديفيد" ضيقه على كرسي وتمطى ، لقد كان مرتاحا لمعرفته ان "إيما" أصبحت في حمى هذه السفارة .

إن العلاقات بين "كندا" والولايات المتحدة اكثر من وثيقة، وإن كثيرا من الأمريكيين الذين ذاقوا العذاب في الشرق الأدنى . لم ينجوا سالمين إلا بفضل حماية سفارات "كندا" .

خلعت "إيما" بدلتها ايضا . كانت تغدو وتروح في الصالون الواسع وهي تدور حول المناضد والأرائك تنقر باصابعها على حافة المدفاة ، قبل أن تغرق في تامل - شبه منوم - بوكيه من الورود .

لقد كانت تبدو ضعيفة وهشة بصورة مرعبة . فقد اقلق صمتها "ديفيد" واقلقه شحوبها ايضا .

لقد أصبحت على اقرب حدود الأزمة النفسية . كانت ترتعد . بعد هذه الأيام من التوتر ، الآن هي لا تخشاه اكثر من أجل حياتها . فلم يعد لديها القوة لتصارع تلك الذكريات البشعة لما قد تحملته .

كان يعرف أيضا انهما لن يستطيعا ابدا أن ينسيا ما قد راياه، وعانياه وعايشاه لكنه كان يعتقد . أن الزمن سيقوم بدوره ويخفف عنهما على الأقل ، لديه امل في ذلك .

كم كانت جميلة !

اقترب منها بهدوء والتقط ذراعها .

- استريحي يا صغيرتي . نحن تقريبا في المنزل .

أدارت رأسها وتفحصته . عيناها ، عيناها الزرقاوان الجميلتان. كانتا تبدوان شاردتين . وشفتاها كانتا مضطربتين من الارتعاش .

قالت :

- أتعتقد ، اتعتقد انهم سيستطيعون إنقاذنا من هنا ؟

ضمها في احضانه .

- إذا لم يتمكنوا من ذلك ، فسوف نجد طريقة اخرى .

- انا ... إن عندي إحساسا باني على وشك ان ... ان اصرخ كالمجنونة، ولا أتوقف عن الارتعاش .

- انت تحملين الكثير في قلبك يا صغيرتي . لقد انقصتي من قلقك لوقت طويل جدا ، من الأفضل لك ان يخرج كل هذا الآن . يجب أن تتحرري في النهاية . إنك لا تفعلين اي شيء سوى انك تقاومين ما عانيناه في تلك الليلة. سوف ننجو . وسوف ننجو سويا . لا تترددي إذن، اصرخي ، ابكي ، اكسري شيئا . افعلي كل ما ترينه لازما . سوف

أكون موجودا ، بجوارك . وسوف انتظر . ولن اذهب لأي مكان بدونك .

ملأت الدموع عينيها وبدأت تنهمر مثل مطر صيفي طويل ، كمطر ساخن ، كمطر طال انتظاره أياما طويلة الأمد في جو خانق . لقد وضعت رأسها على كتفه وظلت تبكي ، وتبكي .

سمع "ديفيد" خطوات خلفه ، لكنه لم يتحرك . خمن انه ربما عاد الضابط .

قال بلطف :

- إنكما محظوظان . إن لدينا طائرة ذخيرة سوف تغادر غدا في الساعات الأولى . وإن رجالنا يبحثون عن وسيلة تجعلكما تقلعان بالطائرة في سرية .

شكره "ديفيد" بنظرة .

عندما أصبحا من جديد وحدهما جلسا معا على سرير في حجرة مقابلة .

لفظت وهي دامعة :

- أنا لن افهم ابدا ، أبدا سبب هذا العنف ، والأذى الذي يستطيع هؤلاء الناس أن يفعلوه بامثالهم من البشر . هل رأيت هؤلاء الصبية المساكين، نظراتهم.. الإرهاب ...؟ لن افهم ابدا ، ابدا .

صوت "إيما" ، وحدتها المفاجئة قد زادا القلق الذي كان يتسرب لنفس "ديفيد" . لقد كان يداعب ذراعها بانامله . لكنه ظل صامتا . فهي لم تكن

قد كشفت بعد عن خفايا قلبها .

- ماذا حدث لنا ؟

ضمها بقوة بين ذراعيه . فقد كانت ترتعد . تراجع "ديفيد" ؛ فلم يكن من الواجب عليه أن يستسلم لقلقه الذي يأكله من الداخل . أو لهذه الكآبة أو الشعور بالفراغ .

- "ديفيد" ؟

أطال "ديفيد" النظر إليها متفحصا قسماتها الجميلة ووجهها الشاحب ، ثم قبلها وضمها إليه بقوة ، لقد كان دهشا من عنف رغبته التي تولدت بقوة أكثر داخله عما كانت عليه أول يوم . وتتابعت مع ذاكرته . ذكريات الذراع التي كانت تمتد بين الحائط وبين القضبان الحديدية ، واليد التي كانت تتفتح وتبحث في لهفة عن اليد الأخرى ، يد شخصية مجهولة ، لها .

كان صوت يحدثه في ظلمات الأيام ، والذي أراحه ليلة بعد ليلة ، الصوت ، الصوت فقط ، صوت تلك المرأة التي أحبها .

انفصلا بسرعة لكنهما تبادلا الأحضان والابتسامات . فلقد حدث بينها من قبل ما هو أكثر من ذلك .

- نقيب "ونسلو" ، آنسة "هاملتون" مرحبا بكما على الأراضي الكندية. أنا السفير "هيجات" .

لقد كان رجلا ذا قامة طويلة ، أشيب الشعر ، لقد كان يرتدي بيجامة

www.ahwaa.com

من الحرير تحت سترة بحرية من القطيفة الزرقاء .

شد على أيديهما .

تابع :

- انتما هنا في أمان ، ويجب عليّ أن أقول: إن رؤيتكما حيين هي تخفيف للموقف . إننا لم نعرف انكما محجوزان في نفس السجن إلا قريبا .

جلس السفير على حافة سرير وقلده "ديفيد" و"إيما" . وقد لاحظ "ديفيد" أن "إيما" لم تعد ترتعش .

- إن لديك مخبرين ممتازين يا سيدي السفير . ونحن نقدر لك كثيرا كرم ضيافتك لنا . ضابط الخدمة حدثنا عن تبادل الكثير من الرسائل .

أجاب "هيجات" :

- في الحقيقة - وبإمكانكما أن تصدقاني - منذ أن عرفنا أن الآنسة "هاملتون" وحضرتك كنتما على قيد الحياة ، نبهنا المحافظة التابعة لكما في الدولة وبقينا على اتصال دائم بهم .

تقدم في جلسته للأمام وأفرغ محتوى غليونه في مطفأة من الكريستال .

- لقد صنعت واحدة من وسائل الإعلام الغربية أيها النقيب ، لكننا لم نستطع أن نحدد موضعك قبل اعتقال آنسة "هاملتون" .

قالت "إيما" ملاحظة :

- إننا لم نكن متأكدين أن أي أحد كان يعرف أين كنا معتقلين. رد السفير مبتسما :

- خدماتنا وعملاؤنا - وارجو أن تسامحاني لكوني غامضا بعض الشيء ، ولكني أعتقد أنكما تفهماني - قد أكدوا لنا أن النقيب "ونسلو" كان دائما على قيد الحياة ... ومن الواضح . أن الطلبات المتكررة التي قدمناها لنستطيع زيارتك اصطدمت دائما بعلامة لم يتسلم ، وقد كنا نوجه باستمرار بعض العناصر التي توصلنا لجمعها إلى زملائنا الأمريكيين . ولسوء الحظ ، كان من المستحيل علينا أن نعرف حالتكما الصحية والنفسية .

قال "ديفيد" بصوت أجش :

- لقد كان باستطاعتهم قتلي على الفور ، ولكني اقترح أنهم اعتبروني عملة يمكن تبادلها .

- هذا هو رأيي أيضا يا سيادة النقيب . أما عنك يا آنسة "هاملتون" . لقد أخبرنا شخص عن اختفائك تقريبا على الفور . أولا عن طريق زميلتنا آنسة "وينثورب" ، التي أخبرتنا أنك لم تحضري العشاء الذي أقامته من أجلك ، ثم عن طريق منظمتك . وبعد بضعة أيام من القلق . ودفع بعض الأموال للترضية استطعنا أن نعرف أن البوليس السياسي قد احتجزك ، لعيب في بطاقة تحقيق الشخصية . وللأسف هذه المرة أيضا ، منعونا من الاتصال بك .

- لا تعتذر سيدي السفير ، لقد فعلت اقصى ما يمكنك عمله وصدقنا إن هذه ترضية لنا عندما نعرف انكم لم تنسونا . لا سيما أن بلدنا ليس لديها التمثيل الدبلوسي هنا .

- لقد تعبت يا عزيزتي .

اضافت :

- نحن الاثنان قد تعبنا . اتعتقد اني استطيع التحدث إلى "ماري" ؟

- الآنسة "وينثورب" متغيبة ، إنها في إجازة لرؤية والدها .

تراجعت "إيما" .

- اتمنى الا تكون ازمة قلبية اخرى .

قال السفير دون أن يحاول أن يخفي دهشته :

- يبدو انك تعرفين عائلتها جيدا .

- إنها افضل صديقاتي ، منذ كنا بالمدرسة الثانوية .

- والد "ماري" سوف تجرى له عملية جراحية صغيرة . سيضعون له منبها قلبيا . غدا ، على ما اعتقد ، لكني أعتقد أنه قوي وسيتحمل العملية .

- لقد اختبانا انا و"ديفيد" في منزلها اليوم . وقد تركت لها رسالة ...

نهض السفير واقفا ، وتبعه "ديفيد" و"إيما" .

- إن سلطات هذا البلد قد اطلقت سراح بعض المساجين عن طيب خاطر . أعتقد انكما قد هربتما ، هل لاحظتما اي اخطاء تخبراني عنها ،

أم تفضلان الانتظار حتى تقابلا رجالكما ،

ابتسم "ديفيد" :

- لم يكن هذا إلا ضربة قدر يا سيدي السفير . جندي شجاع في المدفعية حول جدران زنزانتينا إلى تراب ، منذ حوالي اربع وعشرين ساعة ولقد هربنا منذ ذلك الحين .

هز السفير رأسه ، استخلص "ديفيد" من تعبير نظرته . انهم لو امسكوهما مرة أخرى، فسيجدان نفسيهما أمام فصيلة تنفيذ الإعدام .

- مدهش ايها النقيب ، مدهش .

تحققت "إيما" :

- وماذا عن عائلتينا ؟ الن نتمكن من ...

- معذرة لمقاطعتك يا آنسة . لكن هذا مستحيل . إن خطر الهروب كبير مهما كان تطور إمكاناتنا . هذا يعرضني شخصيا للخطر ... ويمكن أن تسكنا في هذه السفارة اسابيع طويلة ، طويلة جدا .

تمتم "ديفيد" ضاغطا على يد "إيما" :

- الصبر يا صغيرتي .

ابتسمت للمرة الأولى ... للمرة الأولى ، خرجت للتو عن طورها، استطاعت أن تناقش موضوعا عمليا ، وان تهبط على الأرض .

تابع السفير :

- قسمكما السري سيتكلف بهذا في التو واللحظة ، اما بالنسبة لنا

فسنحاول أن نجعلكما تغادران البلاد بأسرع ما يمكن ، صباح الغد بلا شك القائد "ونستون" مسؤول الأمن لدينا جاد في ذلك الأمر . فقد قام بإجراء دراساته بالأقسام السرية الإنجليزية .

لم تستطع "إيما" أن تقاوم تثاؤبها ، وأدارت رأسها .

- لماذا لا تستريحين قليلا يا آنسة "هاملتون" ؟ سوف نقدم لك بعض المرطبات ... أعتقد أن وجباتك لم تكن ... لم تكن كافية في الآونة الأخيرة. وهناك حجرة بسرير مشابهة لهذه وكل حجرة بها حمام و... إذا احتجت إلى أي شيء ، أنا شخصيا في خدمتك .

تلعثمت "إيما" :

- شكرا سيدي السفير ، أشكرك على كل شيء ، إن كل ما أحتاجه هو حمام ساخن والنوم فترة قصيرة . أخشى أن تكون طلقات المدافع الرشاشة قد أرهقتني .

قال وهو يربت يديها برقة :

- بالتأكيد يا عزيزتي ، لقد كنت شجاعة جدا ، ولو كنت فتاتي ، فسأكون فخورا بك .

احمر وجهها خجلا لأن كل الشجاعة ، كل شجاعتها كانت تستمدها من "ديفيد" الذي يستدير السفير نحوه الآن .

- آمل في أن نتحدث سويا على انفراد قبل أن تأوي إلى فراشك يا سيادة النقيب . إن القسم الخاص بكما في الدولة . سوف يسأل عن

بعض التوضيحات . هل حدثت بها نفسك؟ ولن نزعجك بعد ذلك ، حتى يكون القائد و"نستون" جاهزا.

أجابه قبل أن يبتسم لـ"إيما" .

- بالتأكيد يا سيدي السفير ، ساعود... وبسرعة .

عندما ترك "ديفيد" السفير وضابط الأمن ، وجد "إيما" نائمة وقف بجانب السرير دون أن يتحرك بينما كان قلبه يدق بشدة داخل صدره . لقد كانت نائمة وشعرها الأسود الطويل منسدلا على القطن الأبيض ، انحنى بحذر شديد وطبع قبلة على جبهتها . تاوهت بضعف وتمتمت باسمه .

كان يجب عليه أن يبذل مجهودا خرافيا ليبتعد عنها . ثم إنه كان يعرف أنه محتاج للراحة من أجله ، لكن خاصة من أجلها ، ومن أجلهما معا . إن نهار اليوم التالي سيكون مهما .

اتجه إلى الحمام وأخذ حماما ساخنا صحيا طويلا .

لقد ظل تحت الدش حتى بدأت عضلاته في الاسترخاء ، وعندما خرج حمل ملابسهما المتسخة إلى خارج الغرفة . ثم نقل المرتبة من غرفته ووضعها بجوار سرير "إيما وكان آخر شيء ينظر إليه هو رفيقته .

انتفضت "إيما" ، هناك شخص يقرع الباب ، لقد كانت تحلم بأنها في زنزانتها فصرخت :

- "ديفيد" ، "ديفيد" !

لقد كان "ديفيد" مستيقظا من قبل .

جذبت ملاءة السرير عندما رأت "ونستون" في الحجرة .

أعلن:

- إن لديكما خمسا وأربعين دقيقة لترتديا ملابسكما وتتغذيا وها هما جوازا سفركما الكنديان مع التاشيرتين اللازمتين لمغادرة البلاد والتذكرتان بداخلهما .

سال "ديفيد" وهو ياخذ الوثائق والملابس النظيفة التي أعطاها له القائد :

- سنرحل قانونيا إذن ؟

- هكذا افضل . أقل حيلة ممكنة ... إن شرطة المطار لن تسبب لكما أي قلق بهذه الطريقة . أهناك مشكلة يا سيادة النقيب ؟

- كلا . ليست هناك اية مشاكل . سنكون مستعدين .

وتصافح الرجلان .

اغلق "ديفيد" الباب مرة أخرى واستدار نحو "إيما" التي القت بالملاءة، إن ما يعايشه الآن جعله ينسى ضرورة إسراعهما .

قطب وجهه وانشغل بجوازي سفرهما المزيفين .

- هل قررت ان تقومي بدور "شارلوت تريسدال" من "تورونتو" ؟

ابتسمت ابتسامة تدل على الموافقة . ولم يتحدثا مطلقا وهما يرتديان ملابسهما . هذا الجريء "ونستون" كان داهية . فقد اختار لـ"ديفيد" وقاء

مطر طويلا وبنطلون جينز مستعملا، وبلوفر وحذاء مبطنا من الداخل ، لقد كان يبدو اكبر من ذلك النقيب الفلاح ، محل اهتمام البوليس السري.

تالمت "إيما" كثيرا وهي تبتلع لقمة ، ولم تشرب سوى نصف كوب من عصير البرتقال مع قطعة توست . ومع ذلك ، فقد لاحظت أن "ديفيد" كان ياكل بشراهة وكان هذه هي آخر وجبة له .

لم تجعله يلمحها ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الارتعاش. إن اسوأ شيء مازال يجب عليهما القيام به .

السيارة السوداء الضخمة كانت تجوب الشوارع الطويلة المحطمة . والعلم الكندي يتراقص على جانبها الأيمن. السائق والحارس الخاص المسلح بمدفع رشاش . لم يتحدثا معهما مطلقا .

كانا يبدوان كانهما زوجان شابان موظفان بالسفارة يغادران البلاد... لقد توقفوا ثلاث مرات في الطريق ، وفي المرات الثلاث. كان هناك من يشير لهم بالرحيل بعد إلقاء نظرة سريعة من خلال النوافذ الملونة .

ركنت السيارة في المكان المحجوز للزوار الرسميين ، وفتح السائق الباب . رأت "إيما" مدخل البهو الكبير ، حاملي الامتعة ، المارة والمسافرين يجرون حقائب كبيرة . ورأت الرجال المسلحين.

بعد مرور خمس واربعين دقيقة ، كانت "إيما" تعض على شفتها السفلى لكيلا تصرخ .

www.rewity.com

لقد مرا من حواجز البوليس والحواجز الجمركية كالحلم. والآن هي تشعر بان كرسيها يهتز .

اندفعت الطائرة على طريق الانطلاق المحدد لها . لقد غادرا الجحيم . هي وهو، لقد هربا !

لم ينطق "ديفيد" بكلمة واحدة اثناء رحلة الطيران التي استمرت ساعتين حتى دماس ، ورفض ان يمسك بيدها عندما نقلوهما إلى الطائرة الحربية الأمريكية التي كانت تنتظرهما آخر الطريق .

كانت تتالم بصورة بشعة ، لانها لم تكن تفهم السبب ، وخلال الاربع أو الخمس ساعات التي استغرقتها الرحلة لألمانيا ، التزما بالأدب ، ادب متحفظ افظع من الصمت .

رد فعله "الإنساني" الوحيدانه استدار نحوها واخذ يتفرس فيها بحدة ، عندما هبطا وضغط على كتفها .

- اعتني بنفسك يا صغيرتي . انا ... سوف نتقابل مرة أخرى.

لم تستطع ان تتحرك ، وقفت تشاهده وهو يغادر الطائرة دون ان يلتفت وراءه وينظر إليها . كانت تنتظرها سيارة إسعاف وكان يتحدث معها شخص بلغتها ، كان يحاول ان يطمئنها وكان يسالها بلطف. اعتقدت "إيما" انها سوف تموت .

الفصل الحادي عشر

برغم العناية والرعاية، الفحوصات ، الاتصالات بالنفسانيين ومحادثة طويلة مع والديها، برغم الأمان الذي وجدته ، والسرير المريح المترف الخاص بالإدارة الأمريكية في اوروبا ، وبرغم كل ذلك. لم تستطع "إيما" ان تنام .

استمرت في سماع قصف الدبابات ، الصرخات ، والانفجارات ليل نهار بلا انقطاع ، ورات مرة اخرى وجوه الأطفال التي لمحتها اثناء هروبها . رات زنزانتها وتذكرت ساعات الانتظار ، الانتظار القاتل ، عندما أخذوه ليحققوا معه، هذا المجهول الغريب الذي كان يعيش على بعد خطوتين معها دون ان تستطيع ان ترى وجهه ، هذا الرجل الذي

www.rewity.com مرصورية

ظل وقتا طويلا مجرد صوت بالنسبة لها ، صوتا بسيطا، هذا الرجل الذي أحبته . الذي أحبته...

هذا الرجل الذي رحل دون أن يلتفت إليها بلا عودة ... بلا عودة...

كيف استطاع أن يؤكد لها حبه ، وهو يعاملها في النهاية بهذا الازدراء ؟

تمتمت :

- لماذا ، لماذا ؟ أنا لا أفهم .

صفق الباب وانفتح برفق . قفز قلب "إيما" ، و"ديفيد" كان يقف عند النافذة تقدم خطوة للأمام ، دفع الباب بكتفه ، وأغلق المزلاج. ثم اقترب من سرير "إيما" بهدوء ، ولم يتوقف عن النظر في عينيها .

- كيف تشعرين ؟

كانت تريد أن تبكي أو بالأكثر تصرخ أو ...

ردت بخشونة :

- هل جاء النقيب "ونسلو" ليقوم بتحرياته ؟ إن هذا حقا غير ضروري، فانت تعرف ، أنا لم أعد عبئا عليك .

- أنت لا يمكن أن تكوني عبئا عليّ يا صغيرتي ، حتى ولو حاولت ذلك.

بالرغم من أنها لاحظت التعب العميق الذي أبرزه صوت "ديفيد" لم تشفق عليه .

- ماذا ... ماذا تريد ؟

- أنت .

- ولماذا ؟

- إني أحتاجك .

اختلجت "إيما".

نادته :

- وأنا ، أنا أحتاجك اليوم .

- أعرف .

شعرت "إيما" أن خوفها قد تلاشى . صوت "ديفيد" كان يدل على حزن مثير للشفقة .

- ما الذي يضايقك يا "ديفيد" .

- كل ... كل ما حدث خلال الشهرين والنصف الماضيين ... وكل ما سيحدث ...

أدارت رأسها ببطء ، وكأنه كان يتردد في مواصلة حديثه ، أو كأنما تعدى هذا الحد الذي عنده الكلمات لا تعد شيئا ، غير أصداء صماء ، أشلاء جمل بلا فكر ، وبلا أي معنى . صواريخ تضيء الظلمات ، وقذائف المدفعية التي تسقط ويتلقفها الليل .

قالت برقة :

- إنها ... إنها صدمة حقيقية أن تكون حرا .

www.rewity.com

وافقها :

- شيء من هذا القبيل .

- إنك تحاول إذن أن تتجادل مع نفسك ، أليس كذلك ؟ أيسودك انطباع بانك تغرق؟ ولهذا تنطوي على نفسك اليوم ، او لهذا ترفض الكلام معي ؟

انتهى به الأمر بان يقر :

- إلى حد ما ، نعم .

ردت عليه وهي تشعر بوميض من الأمل يتولد في قلبها من جديد .

- اسمع يا "ديفيد" ، كل شيء سيصبح على ما يرام ... لكن يجب علينا أن نكون صبورين ، صبورين مع ذاتنا ومع بعضنا البعض ، فنحن نستطيع أن نتشارك في كل ما عشناه ، وذلك سوف يساعدنا .

- إني ، في شدة احتياجي إليك .

أخذت "إيما" بيده وجذبتها نحوها . وازدردت بالم بسبب الاختناق الذي أصاب حلقها .

- وسوف أظل دائما ، دائما ، في حاجة إليك يا صغيرتي .

نجحت "إيما" في أن تنبط بنظرته. وأدنت يده من شفتيها وقبلتها .

سألها :

- هل تسامحينني ؟

أخذت نفسها لحظة .

تسامحه ! تسامحه !

عاد قلبها يدق بشدة ، فقد كانت تشعر بان حملها قد اختفى ، وان رئتيها قد تحررتا ، وان هذا الصداع البشع قد سكن .

تسامحه !

- مسكين يا "ديفيد" ، مسكين يا عزيزي "ديفيد" ، بالتاكيد ، أسامحك ! لقد كانت تريده ، لأنها أحبته بقدر ما كان بحاجة إليها . ومهما يكن الثمن الذي يتطلبه ذلك ، فسوف تدفعه .

- أتعرفين يا "إيما" ، انا ... هناك شيء آخر ، أترين، أنت تعتقدين انك تحبينني ، لكن هل يمكن أن تكوني متأكدة من مشاعرك بصدق ؟ خاصة بعد ما حدث .

ردت بحزم :

- أحبك ، كيف تتهمني باني أجهل ما يحدث داخلي وفي أعماقي .

جلس على حافة السرير وخفض رأسه . وكان وجهه يعكس خليطا من التعب والألم .

- أنت تعتقدين انك تحبينني ، لكن عندما تجدين حياتك ، حياتك القادمة عندما تعودين لعائلتك ، أصدقائك ومنزلك المواجه للمحيط، محتمل ألا يكون لي مكان كبير في عالمك وسوف أصبح جزءا من كومة من الذكريات الحقيرة ، من الأشياء التي سيكون من الأفضل أن تنسيها ومن جهة أخرى ... فقد أهملت نفسي حتى النهاية ، حتى لو كان هذا من الصعب أن أقوله ومن البشاعة أن تسمعيه ...

لم تتحرك تصلبت وهي تنظر إلى شفتي "ديفيد" .

www.rewity.com

- ... إن ما حدث لنا ، لن يهم زوجين في موضعنا بلا شك لا يهم أي زوجين .

- ... كلانا في حاجة إلى الآخر . لقد كنت عوامة إنقاذ لك ، وانت كذلك بالنسبة لي ... لقد كان هذا فعل الظروف ... أتعتقدين انه بإمكاننا أن نبني حياة على شيء ... ضعيف مثل هذا ؟

استطاعت أن تقول :

- لقد أوليتك ثقتي يا "ديفيد" .

- وأنا لم أخن ثقتك انت تعرفين أني لم افعل شيئا مثل هذا حقا ؟

إنها لم تعد تعرف شيئا ، رأسها كان يدور ... ويدور .

قالت وهي شاحبة :

- إنك لم تعد تحبني. أليس كذلك ؟ إنك تجعل الأشياء ... كلها سواء .

- لقد أحببتك في السجن يا "إيما" .

شدت طرف الملاءة بشدة .

- لكن هذا قد انتهى.

- أرجوك ، أنا لم أفرض عليك هذه التجربة يا صغيرتي ، أرجوك .

- عم تتحدث ؟ ماذا تريد أن تقول في النهاية : إنك أحببتني منذ يومين ، واليوم قد انتهى كل شيء ؟

- إنك لا تسيطرين على عواطفك ! نحن يلزمنا وقت ، وانت لست في حالة تمكنك من معرفة مشاعرك ، مشاعرك العميقة .

قالت بصوت مرتفع :

- هذا يكفي الآن ، كف عن التصرف معي كما لو كنت غير قادرة على التماسك ... وكل هذا لأني قضيت بعض الوقت بالسجن . لقد فقدت بعض وزني ، وليس عقلي.

- إنك تصعبين الأمور جدا .

- كلا ، كلا يا عزيزي . لقد أردت فقط أن أفهم ... وقد حدث .

- أهذا شيء معقد لهذا الحد، أن تقبلي أن نكون متأكدين أن مشاعرنا يجب أن تكون حقيقية وصادقة ؟ وأن كل ما افعله لكي نتحاشى عواقب الخطأ ... لأجعلك تتجنبين نتائجه ؟

- كيف تشك في مشاعري ؟ كيف ...

قال مقاطعا إياها :

- أنا لا أضع مشاعرك موضع شك .

ووضع يده على يد "إيما" .

- ولكني في المقابل ، أشك في عواطفك ، وفي مشاعرك ، هل هما بالقوة التي تجعلك تنوين مشاركة الحياة مع رجل غجري ، الرجل الذي يرحل في مهمة أسابيع كاملة ؟ أتستطيعين أن توفقي هذا مع التزاماتك ، عواطفك ، وأسلوب حياتك ؟ أتستطيعين ...؟

- إنه دوري أن أقاطعك يا "ديفيد" ، إن ما فهمته الآن ، أنك تشعر بأنك وقعت في فخ .

ابتسمت له ، ابتسامة حزينة ومؤلمة هزته .

- اسمعني إذن ، ودعنا نكف عن اللعب . أنا أحبك يا "ديفيد" ،

www.rewity.com

واحتمال أن أحبك للأبد ، ولكني لا أنوي أن أرغمك على اتخاذ قرارات لا تريد اتخاذها . ليس من طريقتي أن أتسول أو أتوسل لأحد ، وليس لدي شيء أبرهنه، إني أحبك ، وهذا كل ما في الأمر.

رد :

- لكني ليس لي الحق أن ...

- ولأول مرة رأت عينيه تلمعان بحب قديم.

- إني أمنحك هذا الحق .

ارتعش، لم يعد قادرا على التماسك . كان يرتعش ، وكان على وشك البكاء، النقيب "ونسلو" سوف ينخرط في البكاء .

- أنا ...

ردت عليه برقة :

- نعم .

همس في أذنها بشيء ما لم تسمعه ، شيء جميل جدا ورقيق ، شيء ما قد فهمته جيدا ، والذي كانت تعرفه من أول وهلة ولم يتلاش.

وقالت بدلال :

- هيا بنا نمارس الحب !

تمت